مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد الثامن
1991 م.

دور الجامعات العربية والإفريقية في التنمية الثقافية

الدكتور محمد علي الصابي
نابلس - جامعة النجاح الوطنية عمان - الأردن

مقدمة:

يأتي عقد الندوة المشتركة بين الجامعات العربية والإفريقية في مدينة الخرطوم في منتصف شهر تشرين أول 1989، وسط تغيرات وظروف عالمية بالغة الأهمية، تقف وسطها الثقافتان العربية والإفريقية موقفاً حرجاً، حيث أن الصراع بين الثقافتين العربية والإفريقية من جهة، والثقافات العالمية الأخرى من جهة أخرى، لم يحسم بعد، مما أدى إلى نشوء أزمة كبيرة يعيشها العالمان العربي والإفريقي بمرارة بالغة. ذلك أن الثقافة وكما هي معرضة للنمو والارتقاء، فإنها معرضة للقضاء عليها أو منعها من تحقيق غايتها على الأقل، ومن هنا يظهر دور الجامعات العربية والإفريقية في التنمية الثقافية.

والجامعات قادرة على حسم الصراع الثقافي لصالح الثقافتين العربية والإفريقية على حد سواء، وذلك عن طريق تنمية ثقافية متكاملة.

فالجامعات هي مراكز الإشعاع والنور،

والجامعات تستطيع بجهد دائب تعميق وترسيخ الثقافة العامة والخاصة في نفوس أبنائها.

والجامعات تستطيع أن تجد الإجابة عن كثير من المشكلات الفكرية والاجتماعية والفنية وكل ما يتعلق بالثقافة.

والجامعات تتميز بقدرتها على تكوين المفاهيم الثقافية لتكون واضحة الدلالة في جوهرها. ولها أي للمفاهيم الثقافية مكانتها واحترامها عند أبنائها. لتصبح قوية ومؤثرة وسريعة الانتشار عند غيرها.

واتحاد الجامعات العربية والإفريقية بقيامه بعقد الندوات والمؤتمرات الفكرية والعلمية وبإصداره لنتائج تلك الندوات والمؤتمرات ليقوم الباحثون والمهتمون بدراستها والاستفادة منها، يستجيب لمتطلبات التنمية الثقافية.

وحيث أن الحكم على الشيء أو الحديث عنه هو فرع من تصوره، فلا بد إذن من التعريف بالثقافة المراد تنميتها لربطه بالدور المنتظر من الجامعات العربية والإفريقية.

الثقافة في نطاق اللغة والاصطلاح:

تعني الثقافة في أكثر الاستعمالات اللغوية:

1 ـ الحذق ـ الفطنة ـ سرعة أخذ العلم وفهمه ـ تقويم المعوج من الأشياء ـ الظفر والإدراك ـ التهذيب والتأديب، والتسوية[1].

وقد وردت كلمة ثقافة معطوفة على لفظة صناعة في كتاب مقدمة طبقات الشعراء لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي قبل ألف ومائتي عام تقريباً حيث قال:

---

(1) مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ص 84، 85، ط 1، وتهذيب اللغة للأزهري ج 9، ص 83، القاموس المحيط للفيروز أبادي ج 3، ص 125، ط 2، لسان العرب لابن منظور ج 9، ص 20، أساس البلاغة للزمخشري ص 96، وتاج العروس للزبيدي ص 53.

«وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم».

والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان[2].

2 ـ يرى بعض الباحثين أن صاحب طبقات الشعراء يعني بالثقافة (الملكة) أي القدرة على الفهم والحذق والنقد[3].

3 ـ ورأى بعضهم أن هذه الكلمة حديثة بمعناها واستدلوا على ذلك أن ابن خلدون في مقدمته الشهيرة لم يتعرض لها مطلقاً، ومن هؤلاء الفيلسوف الجزائري مالك بن بني حيث قال: «وكل ما كان في روما أو أثينا إنما هو «حضور» ثقافة ما، لا تحديد وتشخيص لواقع اجتماعي أو تعريف لفكرة «ثقافة» وهكذا كان الأمر في دمشق وبغداد (يقصد الخلافة الأموية والعباسية). فليس لنا أن نعجب إذا لم نجد كلمة «ثقافة» في وثائق العصر أو في مؤلفات ابن خلدون».

4 ـ إلا أنني وبالرجوع إلى مقدمة ابن خلدون، وجدت أن ابن خلدون قد أوردها وكأنه يعني بها «المظهر الخارجي» ففي معرض حديثه عن ـ الدولة ـ عندما يصيبها الهرم إذا تغلب عليها الترف والدعة قال:

«طبيعة الملك تقتضي الدعة.. وإذا اتخذوا الدعة والراحة مألفاً وخلقاً صار لهم ذلك طبيعة وجبلّة شأن العوائد كلها وإيلافها فتربى أجيالهم الحادثة في غضارة العيش ومهاد الترف والدعة فلا يُفَرَّق بينهم وبين السوقة من الحضر إلا في الثقافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم»[4].

وفي موضع آخر يقول عند سقوط الدولة وانهيارها «وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها»[5].

---

(2) ص 6 (3) تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس ص 78، نقلاً عن لمحات في الثقافة ص 24.

(3) مشكلة الثقافة ص 24، ولمحات في الثقافة، د. عمر الخطيب ص 25.

(4) المقدمة، ص 169، ط 5، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(5) المرجع السابق، ص 171.

وأظن أن ابن خلدون يـدرك أثر حسن الثقـافة الحقيقي من غيـر تمويـه، فهو وإن لم يضع لها تعريفاً خاصاً بها، إلا أنه عالج في مقدمته مختلف أنواع الثقافة في عصره، وعقد لذلك واحداً وستين فصلاً ولعله أراد أن يعبر عنها بلفـظة أخرى أطلق عليها (الملكة) ممتزجة بالموهبة حيث قال: «الملكة الشعرية تنشأ بـالشعر، وملكـة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسل والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات»[6].

بنـاء على ذلك فيمكن القـول ان كلمة ثقـافـة وإن لم تـرد نصـاً في كتـابـات العلماء السابقين من العرب والأفارقة وغيرهم، إلا أنها كانت موجودة في جـوهرهـا حيث أنه ما من منصف يستطيع أن ينكر حضارة الإسلام المنبثقة عن ثقافته.

5 ـ الثقافة في اللغات الأجنبية الفرنسية والإنجليزية والألمانية يعبر عنها بلفظ Culture المشتقـة من الأصل الـلاتيني Cultuvare، وتعني الاستنبات وتنقيـة الأرض وفـلاحتها، وقيـل ان شيشرون الخـطيب الألماني استعملهـا بمعنى فلاحـة العقل. والواقع أن الأوروبي عامة والفـرنسي خاصـة ينظر لنفسـه أنه هـو إنسان الأرض وأن الحضـارة الأوروبية هي حضـارة الزراعـة والعمليات التي تستنتـج الأرض خيراتهـا كالحرث والبذر والحصاد لها دور هام في نفسية الإنسان الأوروبي ولهـا دور هام في صياغة رموز حضارته، فالزراعة هي العمليـة التي تضم بين دفتيها جميـع المراحـل السابقة، وهي التي تحدد وتنظم إنتاج الأرض. فإذا حدث أن تعاظم إنتـاج الفكر، فلن تكون هناك غـرابة إذا مـا أطلق عليه الـرجل الفـرنسي كلمة Culture التي تعني الزراعة إطلاقاً مجـازياً. هـذه الاستعارة شخصت وصنفت واقعـاً اجتماعيـاً لم يكن مدركاً، فالاستعارة حين أطلقت على الواقع الاجتماعي قد خلقت مفهوماً جديداً هو مفهوم الثقافة[7].

6 ـ الثقافة في الاصطلاح العربي: تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من ضـروب المعرفة النظرية والخبرة العملية التي تحدد طريقتـه في التفكير ومـواقفه في مختلف طرق الحياة من أي جهة حصلت تلك المعرفة، وتلك الخبرة سواء أكانت من البيئة

---

(6) المرجع السـابق، ص 578.

(7) مشكلة الثقافة، ص 26، ولمحات في الثقافة، ص 30.

والمحيط والمدرسة والمهن، أم من طرق غيرها[8].

وقيل بأنها «مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان»[9].

والمدرسة الغربية ترى أن الثقافة هي ثمرة الفكر[10]. وهي علم الإنسان وأعرافه وعاداته وتقاليده[11] والمدرسة الماركسية ذهبت إلى أنها انعكاس للمجتمع[12].

7 ـ حتى يكون تعريف الثقافة ذا جدوى، فعلينا أن نستفيد منها ضمن العملية التنموية الثقافية، وانني أقترح ما يلي: ـ

1 ـ حيث تقوم فلسفة الجامعات العربية والإفريقية على تخريج طلبتها وقد نمت فيهم المهارات المختلفة نتيجة فطنتهم وفهمهم وإدراكهم لثقافتهم ولمسؤولياتهم التي ستلقى على عاتقهم بعد تخرجهم لنشر الثقافة في مجتمعاتهم. فإنني أرى ضرورة العمل على توحيد مناهج الثقافة التي تدرس للطلبة في الجامعات العربية والإفريقية.

2 ـ حيث أن مناهج التعليم في الجامعات غايتها تسوية العقول والأدمغة وتصحيحها وتقويم المعوج منها كما تسوى الرماح بالثقاف لتصيب الرماح أهدافها، فإنه ينبغي أيضاً صبغ المناهج التعليمية في الجامعات والمدارس ودور العلم بصبغة عربية إفريقية متميزة.

3 ـ الحكمة والعلوم والفنون الصالحة هي ضالة الجامعات العربية

---

(8) عن محاضرة للأستاذ محمد المبارك بعنوان سلطان الثقافة الغربية نقلاً عن كتاب لمحات في الثقافة، ص 28.

(9) الثقافة الإسلامية، د. أمير عبد العزيز ص 8.

(10) استند الفيلسوف الجزائري إلى ما ذكره العالمان الغربيان «وليام أوجبرن» و «رالف لنتون».

(11) ذكر هذا التعريف كزلاف كليم المؤرخ الألماني ونقله قسطنطين زريق في كتاب معركة الحضارة، د. عمر كودة، لمحات في الثقافة، ص 30.

(12) هذا التعريف ذكره ماوتسي تونج في كتابه الديمقراطية الجديدة ـ ص 58 ـ نقلاً عن مالك بن نبي ص 29، 32.

والإفريقية، وجب عليها أن تأخذ بها حيثما وجدتها وهذا يعني أن تبذل جهودها للاستعانة بالكفاءات العلمية والخبرات والعلماء بشتى الوسائل، ومن شتى أقطار الأرض.

4 ـ ينبغي أن تكون الجامعات العربية والإفريقية وعاء وأرضاً صالحة للثقافة العامة، ويدل على ذلك مظهر الجامعات الحضاري بما تقدمه من إنتاجات وكتابات ومؤلفات واكتشافات واختراعات وحتى تكون كذلك، فعليها أن توفر للعاملين لديها الأجهزة العلمية ووسائل الإيضاح والمكتبات لمواكبة التطورات العلمية، حتى يستطيع أبناؤها أن يستثمروا ما لثقافتها (من معطيات) ويقطفوا ثمارها.

ففي قاعاتها ومن خلال المحاضرات والندوات والتفاعل الخير بين الأساتذة والطلبة تنشط فلاحة العقل كما ينشط إنماء الأشياء المادية على طبيعتها.

5 ـ طبيعة الحياة الجامعية تستلزم:

الحرية الفكرية والأكاديمية ضمن إطار الثقافتين العربية والإفريقية ولا بد من توفير هذه الحرية حتى لا يضطر أصحاب الكفاءات إلى الهرب إلى الخارج بحثاً عن الحرية.

أهمية دور الجامعات العربية والإفريقية في التنمية الثقافية:

الثقافة في عمومها بالغة الأهمية، عظيمة التأثير في الإنسان لأنها تصبغه بصبغة شخصية ومسلكية معينة ووجه ذلك أن الثقافة مركوزة في أعماق الذهن بما يسوّل له أن يعطي أو يتخلف ومن هنا تظهر أهمية دور الجامعات في التنمية الثقافية فهي: ـ

أولاً: أي الجامعات القادرة على نقل المفاهيم الثقافية من الحيز النظري المجرد إلى الواقع البشري الحي، لتكون مصدراً للفكر والشعور وطابعاً للسلوك وسمة للحياة العملية للشعوب العربية والإفريقية، وبتعبير آخر نقل المعرفة الساكنة التي لا تتجاوز حدود العمل الذهني إلى المعرفة المحركة التي تحدث تفاعلاً

موجها واضح التأثير مع تطلعات الفرد والجماعة[13] وبعبارة أخرى تتويج التنمية الثقافية بمزج الثقافة الديناميكية المتحركة بالثقافة الاستاتيكية الساكنة ويمكن توضيح هذه العملية التنموية بما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فقوة الأفكار الثقافية في ألمانيا امتزجت بالاستعداد المستقر في نفوس الشعب الألماني للتنمية الثقافية بحيث جعلت من ألمانيا قوة كبيرة لا يستهان بها.

ثانياً: إعادة اللحمة الثقافية بين الثقافتين العربية والإفريقية حيث حرصت جهات أجنبية معادية للثقافتين العربية والإفريقية على بذر بذور النزاع والعداء وإذكاء نار الفتنة بين أبناء العرب وإفريقيا.

ودور الجامعات العربية والإفريقية كفيل بإزالة كل أسباب النزاع والشقاق وإزالة الشكوك والرد على الشبهات التي تثار من حين إلى آخر، والتصدي لدعاتها والمروجين لها.

ثالثاً: رد الاعتبار للقيم الحضارية للثقافتين العربية والإفريقية على الساحة الدولية، ولنا من تجارب الماضي المثل الحي، فقد أدى افتتان الأندلسيين بالثقافة الإسلامية العربية إلى إيقاظ عبقريتهم الوثابة وانتشار الترف العقلي بينهم وتطلعهم إلى المعرفة، حيث تعلقوا بالثقافة العربية لسموها على الثقافة اللاتينية التي كانت حينئذ جامدة على وتيرة واحدة، والجامعات بدورها مؤهلة لهذه المهمة.

رابعاً: المفاهيم الثقافية تعطي صورة واضحة عن الواقع الاجتماعي، والتنمية وسيلة لتطويرها نحو الأفضل..

ودور الجامعات يتجلى في تبني سياسة التنمية هذه بالشرح والتحليل الموضوعي.

خامساً: الجامعات العربية والإفريقية هي الأمكنة الملائمة لتقبل الأفكار وإبداعها وتمثلها، وميلاد الجيل المثقف في المجتمعات العربية والإفريقية لا يتم إلا في رحم الجامعات، والمرحلة الجامعية الأولى هي مرحلة الحضانة، أما المرحلتان الثانية والثالثة فهما مراحل الإبداع والابتكار لشتى فروع الثقافة.

سادساً: «إذا كانت الثقافة الأوروبية قد اتجهت نحو الجمال وفلسفته أكثر من

أي شيء آخر، فإن الثقافة العربية الإفريقية ملزمة بسبب مأساة القرن العشرين بأن تتجه أولاً نحو «الأخلاق» لتحديد مثلها الأعلى ثم نحو الصناعة والفنون الأخرى»، لتسير هي الأخرى إلى المثل العليا. والجامعات العربية والإفريقية، وهي تؤدي دورها في التنمية الثقافية تستطيع القيام بذلك لإنقاذ الجنس البشري عامة من كل ما يؤثر في حياته سلباً ويدمرها.

وأساتذة الجامعات العربية والإفريقية قادرون على توجيه طلبتهم وأفراد مجتمعاتهم على أنه يمكنهم اكتشاف الطريقة التي تتصدر فيه الثقافتان العربية والإفريقية مركز الصدارة على وجه الكرة الأرضية.

7 ـ تظهر أهمية دور الجامعات العربية والإفريقية في التنمية الثقافية أيضاً في أن الجامعات المذكورة تستطيع سد الفراغ الناتج عن الغياب الخطير للنشاط الثقافي المشترك بين الجانبين وقضايا اللغات والتبادل الثقافي والمناقشات الفكرية حول مواضيع حديثة معاصرة تهم الجانبين وقضية نشر وتعليم العربية في القارة وقضايا دراسة وتحليل مضمون الكتب المدرسية والمناهج على جميع مستويات التعليم عند العرب والأفارقة والبحث في كل ما يتعلق بالآداب والفنون والمعارف والعلوم.

وكذلك باستطاعة الجامعات العربية والإفريقية المساهمة في سد النقص الشديد والواضح في تدفق المعلومات وتغذية الباحثين والعلماء بالبيانات من الجانبين ودور الجامعات في تحمل مسؤولياتها لإنشاء مراكز معلومات متخصصة لتنمية العلاقات الثقافية بين البلاد العربية والقارة الإفريقية[14].

8 ـ رسالة الجامعات العربية والإفريقية هي رسالة العِلْم والإيمان[15] أقيمت لربط الأجيال بحضارتهم وثقافتهم الأصيلة وحيث أن الثقافة هي الحضارة

---

(13) لمحات في الثقافة، ص 12.

(14) العرب وإفريقيا. بحوث ومناقشات ص 14.

(15) دليل الجامعة الأردنية، ص 15.

والحضـارة هي الثقافـة[16] التي يتحرك في نـطاقها الإنسـان المتحضـر فـإن التنميـة الثقافية غايتها الوصول إلى الإبداع الحضاري.

وفي هذا يقول ابن خلدون: «إنَّ العلوم تكثر حيث العمران وتعـظم الحضارة والسبب في ذلك كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قدمنا أن الصنـائع إنمـا تكثر في الأمصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة»[17] وضرب ابن خلدون مثلاً لما ذكره بحال بغداد وقرطبة والقيـروان والبصرة والكوفـة لما كثـر عمرانهـا واستوت فيهـا الحضارة كيف زخـرت فيها بحـار العلم وتفننـوا في اصطلاحـات التعليم وأصناف العلوم واستنبـاط المسائـل والفنون حتى أربـوا على المتقدمين وفـاتوا المتـأخرين ثم انتقـل العلم إلى القاهـرة لمـا أن عمـرانها مستبحـر وحضارتهـا مستحكمـة منـذ آلاف من السنين فـاستحكمت فيهـا الصنائع وتفننت ومن جملتها تعليم العالم»[18].

الثقافتان العربية والإفريقية متـوافقتان أم متبـاينتان؟ ودور الجـامعات في بيان ذلك:

1 ـ حتى تستطيع التنمية الثقافيـة أن تحقق أهدافهـا وحتى تتمكن الجامعـات العربية والإفريقية من القيام بدورها في هذا السبيـل، فإنهـا تحتاج إلى أرض صلبـة مشتركة تقف عليها، ويتجلى دور الجامعات المذكورة في الإجابة على هذا السؤال بعد الاطلاع على تاريخ الثقافة الإفريقية قـديماً وحـديثاً وإصـدار ذلك في نشـرات علمية لطلبة الجامعات العربية والإفريقية والطبقات المثقفة الأخرى. مع ما تقوم بـه الأقسـام المتخصصة في الجـامعات المـذكورة من تـدريس مساقـاتٍ علميـة بهـذا الشأن، وقد طالب كثير من العلماء المهتمين بالثقافة الإفـريقية إعـادة كتابـة تاريـخ

---

(16) الثقـافة والحضـارة تدلان على مفـاهيم واحدة متـلازمة في الجـانبين الروحي والمـادي وعمد بعض العلمـاء إلى الفصل بينهمـا إلا أنني أرجح قـول من قـال ان الثقـافـة والحضـارة متلازمتان ـ الإسـلام والحضارة د. محمد محمد حسين. ص 8.

(17) المقدمة، ص 434.

(18) المرجع السابق، ص 434.

الثقافة الإفريقية كتجربة مرت بها شعوب إفريقيا[19]، والذي يستطيع أن يعيد صياغة تاريخ الثقافة الإفريقية، هم علماء إفريقيا المعاصرون وجامعاتهم تستطيع مساعدتهم في ذلك.

ولقد ظهرت الدراسات الحديثة حول هذا الموضوع لتنفي عن إفريقيا أنها كانت قارة بلا ثقافة، وأكدت أن حضارة الغرب قد تأثرت بالثقافة الإفريقية حتى أن من العلماء الأوروبيين من أخذ يصحح مؤلفاته بناء على ما ظهر من معلومات ودراسات جديدة.

2 ـ ثقافة إفريقيا القديمة تعود إلى حضارات عالمية قديمة رغم التصورات السابقة عنها بأنها مجرد أساطير وخرافات وأعمال سحر وأنها ثقافة رمزية باصطلاحاتها وعباداتها الوثنية (الفودو، تؤمن بآلهة متعددة والدامبالا، وأجوى، وزاكا، وأجون، وأروزو، وجويدي أي آلهة الخصوبة، والبحار، والرعد والحديد والنار، والحرب، والجمال والموت) ومقدساتها وقرابينها واحتفالاتها مجرد طقوس.

ولغاتها التي تعد بالمئات وبعضهم قال بالآلاف تقسم إلى مجموعات[20]:

ـ مجموعة اللغات السامية كالعربية والأمهرية.

ـ مجموعة اللغات الحامية في شمال غرب إفريقيا وشرقها.

ـ مجموعة اللغات الزنجية وهي تشمل عدة مجاميع منها لغة البانتو بلهجات عدة.

ـ مجموعة لغات النيلوتين في جنوب السودان النيلي.

واللغات التي يمكن كتابتها في إفريقية: العربية، الأمهرية السواحلية،

---

(19) أحد المطالبين، رئيس جامعة ابادان في نيجيريا في مؤتمر أكرا سنة 1962 م من كتاب الإنسان عرض للثقافة الإفريقية ص 6. لجنهاينز جون. ترجمة عبد الرحمن صالح. الدار القومية القاهرة 1965.

(20) الجغرافية السياسية لإفريقية، د. فيليب رفلة، ص 209 ـ مكتبة النهضة ـ القاهرة 1966 م وإفريقيا الأرض أ. ج عبد الفتاح، ص 160.

الهوصة وكوا والأكان وايوي واليوروبا وغيرها. وعلل بعضهم عدم حاجة اللغات الإفريقية إلى أحرف الهجاء باعتمادهم على لغة الطبول التي تخاطب الأذن مباشرة، إضافة إلى اللغات الأوروبية الإنكليزية، الفرنسية والبرتغالية والإسبانية.

وفلسفتها: (مونتو وكنتووهانتو وكونتو) أي الإنسان والشيء والزمان والمكان والخاصية) وكل شيء يرجع لها في ثقافتهم وعقيدتهم عن الخالق والموت والحياة والبعث والدين والأخلاق تكاد تكون خاصة بهم.

وكذلك آدابها وشعرها وفنها وعمارتها.

وتبين أن تلك الحضارات القديمة هي حضارات متميزة لها طابعها الخاص فقد كان لها شعوب مثقفة انضوت في لواء العديد من الممالك والإمبراطوريات التي ظهرت واختفت، وبعض تلك الممالك حكمت وأنشأت المسالك والممرات عبر القارة من الشمال إلى الوسط ومن الغرب إلى الشرق، وكانت على درجة كبيرة من الثراء وملكت ثروات من الذهب والمجوهرات، وأنشأت الجيوش المحاربة التي كانت تعتبر من أقوى الجيوش في زمانها، بلغ تعداد أحدها ما يقارب ربع المليون، كانوا مسلحين بأقوى الأسلحة، بل كان ذلك الجيش يشبه الجيوش الأوروبية في العصور الوسطى يتدرع فرسانه بالزرد وبالدروع الحديدية، كما تدرع الخيول فيه بدروع قوية تحميها في المعارك[21].

وعرف أيضاً عن تلك الحضارات تفاصيل مدهشة عن مستوى الفنون الإفريقية التي اعتمدت الخشب والعاج والأبنوس والنحاس والبرونز، وكانت على درجة فنية تشكيلية راقية من ناحية الصب واتقان الصنع، وأن بعض الممالك بنت القصور والبيوت والقلاع والمعابد من كتل الجرانيت الضخمة وظهرت الآثار الدالة على وجود أكثر من مدينة إفريقية كلها بنيت من الجرانيت، وظهرت فيها فنون الصناعات والحرف وصناعة الأواني الخزفية والسيراميك بطريقة دقيقة متناهية، وازدهرت فيها أشغال التحف، إضافة لمصنوعاتهم التقليدية والمناجل والمناشير التي ساهمت في فنونهم المعمارية. ومن تلك الممالك مملكة كوش وامبراطورية

(21) الإسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا، ص 9.

بنين ومملكة إيفي[22]، ودلت الاكتشافات الحديثة أن بعض الرسوم الصخرية فيها قورنت برسوم اكتشفت في جنوب غرب أوروبا فتبين وجود تشابه بينهما رغم مرور آلاف السنين وبعض هذه الفنون تعرض في متاحف الآثار في كثير من الدول المتقدمة[23].

3 ـ الإنسان القديم اكتشفت آثاره في الحبشة وكينيا سنة 1959 م، والذي كان يعيش في إفريقيا حياة حضارية قبل أكثر من مليوني سنة وأطلق عليه (الإنسان الماهر) ثم الإنسان الواقف، وفي عام 1961 عثر على بعض الأدوات التي كان يستعملها هذا الإنسان في حياته أي أن إفريقيا هي مهد ثقافة الإنسان البشري.

4 ـ الاتصال العربي بإفريقيا قديم قدم التاريخ واتخذ أشكالاً متعددة، إلا أن الاتصال الحقيقي بينهما بدأ مع بداية انتشار ثقافة الإسلام ذات الروح العالمية. والحبشة هي أول دولة تستقبل اللاجئين إليها من الإرهاب والاضطهاد الفكري من قبل قريش في مكة، وهذا يعني أن الحبشة كان عندها حرية دينية وفكرية وقوانينها تسمح باللجوء السياسي إليها حيث رفضت تسليمهم أو طردهم من بلادها، واتخذت الثقافة الإسلامية مسارها السلمي حتى وصلت إلى قلب القارة الكبرى، وأخذت الثقافة الإسلامية تؤثر في الثقافة الإفريقية حيث تأثرت اللغات الإفريقية بالعربية وقواعدها النحوية والصرف وأوزان الشعر. ومن اللغات التي تأثرت الهوسية والسواحلية الأولى، لغة التخاطب في جميع غرب إفريقيا والثانية في شرقها والمناطق الساحلية. وتفاعلت الثقافة العربية والإفريقية معاً حتى غلب الطابع الإسلامي عليها لأسباب عديدة أهمها: ـ

ـ الثقافة الإسلامية تتسم بصفات وخصائص إنسانية فريدة نظرت للإفريقي كإنسان لا فرق بين مسيحي أو وثني أو يهودي.

---

(22) مملكة كوش، ظهرت في بلاد النوبة سنة 157 هـ. وبنين هي امبراطورية المستنقعات والغابات، وايفي هي عاصمة قبائل اليوروبا بنيجيريا. المرجع السابق، ص 35، 99، 101 بتصرف. والجغرافية السياسية الإفريقية ص 209.

(23) الإسلام في ممالك وامبراطوريات إفريقيا، ص 20.

ـ الثقافة الإسلامية لم تهدد الثقافة الوطنية الإفريقية بالزوال ولم تطمس معالمها.

ـ سريان الذوق الفني من قبل العرب لم يهدد كيان الفنون الإفريقية. ويؤكد ذلك إقبال الأفارقة على الفنون الإسلامية المعمارية التي تأصلت في الشمال وسرت منه إلى الغرب والجنوب[24].

ولم يقتصر هذا على الفنون المعمارية، بل امتد إلى الأنغام والأصوات في غناء القبائل وإيقاعاتهم التي غلب عليها التهذيب الملطف للذوق والشعور.

وظهرت الممالك الإسلامية في إفريقيا (مملكة غانا وامبراطورية مالي، الذي قال عنها «صاحب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: فضل الله العمري، الذي عمل في خدمة السلطان الناصر قلاوون: إنها أي امبراطورية مالي أصبحت مركزاً للعلم والتدريس، وكانت جامعتها (سنقرة) في مدينة تمبوكتو ذات شهرة عالمية حيث كان يتوافد إليها الطلبة من شتى أنحاء إفريقيا والبلاد العربية[25].

وقد زارها الرحالة العربي ابن بطوطة في عهد الامبراطور موسى المتوفى سنة 1337 م الذي بلغت شهرته الآفاق، ووصف ابن بطوطة حياة الناس في تلك الإمبراطورية ونظافتهم الشديدة وحسن مظهرهم ورغبتهم العارمة في التعلم والتعليم وإرسال أولادهم إلى المدارس وحلقات العلم، واستقرار الأمن فيها، وكيف أن الأهالي والأجانب يعيشون في أمان تام، ولم يكن فيها لصوص ولا أشرار، يهددون الناس، وفي مدينة جيني في مملكة الصونغاي بلغ عدد طلبة جامعتها أكثر من ألف طالب، وطلبة الطب فيها كانوا يقومون بعمليات جراحية ناجحة للمرضى[26].

وامبراطور مالي موسى قام بأداء فريضة الحج سنة 1324 مع حاشية كبيرة

---

(24) موسوعة العقاد، م 5، ص 311/ مقتبس من كتاب الاستمرار والتغيير في الثقافات الافريقية. مطبوعات جامعة شيكاغو.

(25) الحضارة الإفريقية، ص 51، 55 بتصرف. والممالك الإسلامية 75.

(26) المرجع السابق، ص 84.

أدهشت العرب لكرمهم وإحسانهم، وكذلك فعل أسكيا محمد سنة 1495 م حيث أحاط به موكب عظيم، كما صرف هذا الامبراطور مئة ألف قطعة ذهبية للزكاة ولإنشاء مراكز الإحسان في مكة.

وقد ذاع خبر رحلة الامبراطور إلى مكة لكثرة البذخ والإنفاق غير المألوف فيها وأصبحت مصدراً لعديد من القصص والأوصاف التي دبجت عن هذا الامبراطور وكان سلطان مالي هو أحد سلاطين الكرة الأرضية الأربعة في زمانه.

وهناك ممالك وامبراطوريات إسلامية عديدة ظهرت جنوب الصحراء تشير إلى ثقافة وحضارة عظيمة باعتراف الأوروبيين أنفسهم وسجل البلجيكيون التأثيرات الحضارية العربية في الكنغو وحمل رحالة سويدي زار الكونغو سنة 1886، نفس المشاعر وأشاد رحالة أمريكي (هنري ستانيلي) بالمساعدات العربية لدى دخوله بحيرة تنجانيقا سنة 1871 م.

والمستكشف الإنكليزي لفنجستون هو أكثرهم تقديراً للدور الثقافي العربي في إفريقيا، وذكر «الإدريسي» الجغرافي في كتابه نزهة المشتاق أن الوجود العربي الإسلامي في إفريقيا قديم قدم التاريخ وعزز كلامه بخريطة جغرافية موثقة[27].

5 ـ الثقافة الأوروبية بعد تغلغلها في إفريقيا أرادت مسح الثقافة الإفريقية وكادت أن تمحو معالمها جميعاً. ففي غمرة الحماس للثقافة الأوروبية، قررت حكومة هايتي، تحريم عبادة الفودو ثم اتبعت طرقاً أكثر قسوة مع اتباعها وحرق معابدها وتحطيم الأواني المقدَّسة فيها، ومارست الثقافة الأوروبية الوصاية على ثقافة إفريقية وآدابها وفنونها وقضت على رموز الثقافة الإفريقية القديمة منها والإسلامية الجديدة وعطلت كتابة اللغات الإفريقية التي كانت تكتب بالحروف العربية وأمرت باستبدالها بالحروف اللاتينية. وقد تم تكريس هذا الاتجاه عالمياً تحت إشراف اليونسكو[28]، وفي مؤتمر عقد في دكار أواسط الستينات كانت

(27) المرجع السابق، ص 75 وكتاب إفريقيا في التاريخ المعاصر، للدكتور رأفت غنيمي ص 297 وما بعده.

(28) العرب وإفريقيا، ص 500 وكتاب الإنسان، ص 53 بتصرف.

خطوة حاسمة تم فيها فصل الأفارقة رسمياً عن تراثهم المكتوب بالعربية فكأنما أصبحت إفريقيا التي استبدلت حروفها من غير ذاكرة.

وتم وضع المعاجم والقواميس باللغة الأوروبية واستبدلت المدارس الإفريقية لغاتها الرسمية الأولى باللغات الأجنبية، أما اللغات الأصلية ذات الأحرف العربية فقد طواها الزمن.

6 ـ هناك دعوات تحريضية ضد العرب في إفريقيا من قبل أعداء الإنسانية وعلى الجامعات أن تتصدى لها بحزم وبأدلة تاريخية وعلمية ومن ذلك ما ذهب إليه دستان واي في مؤلفه العلاقات العربية الإفريقية[29].

أما الكتاب المنصفون فيرون فضل ثقافة الإسلام على العالم أجمع وإفريقيا بالذات[30] ويمكننا الآن أن نقول بأن أي تباين بين الثقافتين العربية والإفريقية هو تباين عارض غير أصيل، وأن الأصل فيهما التوافق ودور الجامعات هو إثبات ذلك من خلال التنمية الثقافية.

مقومات الثقافة ودور الجامعات في تنميتها

حيث أن الثقافة ترتكز على جملة عناصر أو مقومات تتفاوت فيما بينها من حيث التأثير، إلا أنها تتميز بمميزات واحدة من حيث كمال تصورها للإنسان والحياة ومن حيث وحدتها وترابطها وبثها للروح الإنسانية في العمل والسلوك في السلم أو في الحرب في الشدة والرخاء، ذلك أن الثقافة إيجابية في دعواتها وأخلاقية في وسائلها.

وبناء على ما تقدم من توافق الثقافتين العربية والإفريقية وحيث أنه قد ثبت في الماضي قدرة الثقافة العربية الإسلامية إنشاء حضارة كبرى، ومهما قيل عن الثقافة الإسلامية من قبل خصومها، إلا أن مقومات ثقافتها هي أكثر رحمة وعدالة بالإنسانية، وأنها تتناسب مع حياة الإنسان في كل حالاته وظروفه.

---

(29) ص 2، نقلاً عن العرب وإفريقيا، ص 73.

(30) سيراليون. كريستوفر فايف نقلاً عن موسوعة العقاد ج 5، ص 38 بتصرف.

ومقومات الثقافة التي ينبغي على الجامعات إحياؤها وتنميتها هي :

أولاً : القرآن الكريم والسنة النبوية :

يتجلى دور الجامعات في التنمية الثقافية في إحياء ما في كتاب الله تعالى وسنة نبيه من مناهج متكاملة لتحقيق التنمية الثقافية عن طريق الإنسان وبيان مكانة هذا الإنسان في الكون والحياة كالتالي : ـ

1 ـ مواد الثقافة التي تدرسها الجامعات في مختلف أقسامها يستطيع الأساتذة المختصون سواء كان في محاضرات خاصة أم محاضرات وندوات عامة تقيمها الجامعات، أو عن طريق أجهزة الإعلام أو الصحافة أو التأليف، أن يبينوا كيف يحمل القرآن الإنسان عموماً بناء الحضارة وما هي عناصر الحضارة وبيان منهج الحضارة في القرآن. وطبيعة الحياة الإنسانية في القرآن وصور من الآثار الحضارية، ووظيفة المعرفة وماهيتها، والقرآن والسنة يبينان السبيل لانبعاث حضارة جديدة واستخدام الطاقات التربوية والعلمية والمعارف الإنسانية وأصول الثقافات السليمة على أساس متناسق والاستفادة من تجارب الأمم الماضية[31].

إن القرآن والسنة يقدمان المقياس الحضاري الجديد لإفريقيا والعالم العربي. والتنمية الثقافية تقودنا إلى الاستقلال التام عن التبعية للحضارة الغربية المعاصرة، والمطلوب من التنمية الثقافية الخروج من دائرة سير الحضارة المادية المعاصرة والسلاح الوحيد لذلك هو العودة لمناهج القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ.

إذا استطاعت التنمية الثقافية القيام بذلك، فتكون قد حققت منعطفاً كبيراً في تاريخ الإنسانية المعاصر وحسبنا أن نسيطر ثقافياً على شعوبنا.

2 ـ إنني أرى أن مساق الثقافة الذي يدرس الآن لطلبة اتحاد الجامعات العربية والإفريقية لا يكفي لتحقيق التنمية الثقافية. وأقترح أن يكون مساق الثقافة

(31) هذه الفكرة مقتبسة من كتاب منهج الحضارة الإنسانية في القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر ـ دمشق 1982.

على مراحل (ثقافة 1)، (وثقافة 2)، (وثقافة 3)، على أن يكون مستوى مساق السنة الأولى غير مستوى مساق السنة الأخيرة بحيث يتم التركيز والتفاعل بين الطلبة وبين المقوم الأول وهو القرآن الكريم والسنة النبوية والمقومات الأخرى: اللغة، والتاريخ، والعلوم والمعارف والفنون لصبغ الطالب بصبغة ثقافية متميزة.

ولئن كانت المعارف والعلوم والفنون المختلفة في كليات الجامعات العربية والإفريقية تأخذ حيزاً كبيراً في التنمية الثقافية، إلا أنه ينبغي أن تنطبع جميع العلوم والمعارف والفنون بطابع ثقافتنا، وأن لا نخرج فيها عن المقوم الرئيسي للثقافة (القرآن والسنة).

كليات الآداب بأقسامها وكذلك العلوم والهندسة والطب والصيدلة والزراعة... ينبغي أن تساهم في التنمية الثقافية وتعنى في الوقت نفسه بتنمية شخصية الطالب بالإضافة إلى تنمية معرفته وتدريبه العلمي.

ولإحياء المقوم الأول للثقافة وبالتعاون بين الجامعات العربية والإفريقية وبمشاركة علمائها من الممكن إقامة «مواسم ثقافية» تكون بمثابة مهرجان ثقافي كبير في علوم القرآن والسنة، ومن خلال الموسم الثقافي يتم تنظيم الندوات والمحاضرات والمسابقات، ويمكن لأخوتنا من أهل الكتاب من النصارى وغيرهم الذين يعيشون في الدول العربية والإفريقية منذ مئات السنين، أن يشاركوهم «بكتابهم المقدس» إن شاءوا. لأن ثقافتنا تعلمنا أن الأنبياء أخوة والعقيدة لا يمكن الإكراه عليها، وأماكن العبادات لجميع الديانات محترمة، والاختلاف في الدين لا يحول دون حسن الخلق والثقافة، ولأن التفاضل بين البشر بمقدار ما يقدم المرء للإنسانية، وإن اختلف الناس في أديانهم فلهم أن يجادل بعضهم بعضاً في حدود الأدب والحجة والإقناع. وبهذه المناسبة فإنني أذكر بالوثيقة التي أصدرها الفاتيكان عام 1970 بعنوان:

(توجيهات لإقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين) والوثيقة تنتقد مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن المسلمين والروح العدائية الصريحة تجاههم وتدعو إلى حوار وتفاهم على قاعدة الإيمان بالله تعالى[32].

---

(32) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، لموريس بوكاي، ص 7.

ولتنمية ثقافة مشتركة بين المسلمين وغير المسلمين في العالم العربي وإفريقيا، فهناك مجموعة من المؤلفات أهمها كتاب (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم للطبيب الفرنسي الجراح موريس بوكاي).

وكتاب محمد في الكتاب المقدس للبروفسور ديفيد بنجامين قسيس الكنيسة الكاثوليكية في (أورميا) بلاد فارس 1900 م.

أنصح المثقفين من الجهتين قراءة هذين الكتابين لما فيهما من فائدة كبرى تؤكد عظمة المقوم الأول للثقافة.

وكذلك الكتب الجديدة التي كتبها الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي الذي اعتنق الإسلام بعد أن قرأ القرآن وقارن ما جاء به وبما قرأه في التوارة والإنجيل ومن هذه الكتب (الإسلام والغرب).

وكتاب (لميشيل ليلون) وهو بعنوان (ما شاء الله). يدافع فيه عن ثقافة المسلمين.

3 ـ وحيث أن الثقافة هي السلوك، فدور الجامعات هو ترجمة السلوك إلى الواقع العملي بين طلبة الجامعات، فالثقافة تعلم الاحترام والإجلال، وأن لا يتعرض أحد لأحد بسبب معتقده بسوء، وأن يكون معه حسن المعاملة، رقيق الجانب لين القول، يحسن جواره ويقبل ضيافته، وأن لا يجار عليه بسبب معتقدهِ بحكم أو ينقص حقه. وواجبه، وأن تصان كرامته وحياته ومستقبله وبغير هذا لا تتم التنمية الثقافية بين الأفراد. وإذا لم يتم ربط التنمية الثقافية بالقرآن والسنة فسيكون الحال كمن ألقى رجلاً في الهواء وتركه معلقاً بين السماء والأرض أو كمن نزع جلده عن جسده وترك بلا دواء.

وأود أن أشير هنا إلى ما تقوم به لجان إحياء التراث من فتح مكاتب لها في العديد من الدول الإفريقية لنشر الثقافة الإسلامية وتحفيظ القرآن ونشر الوعي بين الناس، وتستطيع الجامعات القيام بذلك أيضاً.

ثانياً: اللغة العربية:

اللغة أياً كانت هي إحدى المقومات الأساسية للتنمية الثقافية وهي وسيلة التفاهم والتخاطب والتعارف وهي الأداة لنقل الأفكار والعلوم والفنون. ويتجلى دور الجامعات هنا في إبراز قيمة اللغة العربية في التنمية الثقافية وذلك:

1 ـ اللغة هي المشكاة المباشرة التي ننفذ من خلالها إلى التنمية الثقافية ولأن اللغة تحتل هذه المرتبة في التنمية الثقافية، فقد كانت محل هجوم المستشرقين والحاقدين من الذين راهنوا على تفتيت العالم العربي والإفريقي، خاصة والعالم الإسلامي عامة عن طريق محاربة اللغة العربية الفصحى والمناداة باستمرار للاستعاضة عنها بالعامية مع كتابة أحرفها بالحروف اللاتينية.

هذه الدعوات رغم عدم نجاحها في العالم العربي، إلا أنها نجحت في الأقطار الإفريقية التي كانت تكتب لغتها بالعربية أثناء الاستعمار الأوروبي لإفريقيا واستمر حتى الآن.

ففي كينيا رفضت السلطات البريطانية طلباً للناطقين بالعربية إضافة اللغة العربية إلى المدارس الابتدائية وأصدر الحاكم العام الإنكليزي يونتي سنة 1911 أمراً بمنع تداول اللغة العربية في السنغال حتى في المحاكم الشرعية. بل أن بعضها سعى للتقليل من استخدام كلماتها كما فعلت تنزانيا عندما أعدت قاموس السواحلي بالإنكليزي.

وحتى يفقد الإفريقي ذاكرته عمد المستعمر إلى نقل جميع المخطوطات المكتوبة بالعربية من مكتبات زنجبار ومومبلسا وطومبوكتو إلى متاحفه في أوروبا.

ويؤسفني القول ان الصومال وهي عضو في الجامعة العربية قررت رسمياً كتابة اللغة الصومالية بالحرف اللاتيني، ولا يزال القرار ساري المفعول[33].

إن علاقة العرب بإفريقيا ليست حديثة، بل تمتد لفترة تزيد عن ألف سنة ثم أن الإنتاج الثقافي الإفريقي المكتوب كان بها وهو عبارة عن مخطوطات مبعثرة هنا

(33) العرب وإفريقيا 46، 47، 50، بتصرف.

وهناك تنتظر إخراجها إلى حيز الوجود لتبين دور الإفريقي في آداب وعلوم وفنون وتاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

2 ـ لا شك أن الجامعات العربية والإفريقية تهتم بتدريس علوم اللغة العربية وتنشىء الأقسام الخاصة لذلك إلا أن الدور الجامعي في المحافظة على المقوم الثاني للتنمية الثقافية أبعد من ذلك. ففي الجامعة يتعلم الطلبة النحو والصرف وتاريخ الأدب والشعر والنقد وعلم الأصوات والآداب المحلية والبلاغة وأثر اللغة العربية في اللغات الأخرى والتحديات التي واجهتها اللغة العربية بالدعوة إلى هدمها[34]، ودور الجامعات هو مناصرة الأدباء والكتاب والعلماء الذين وقفوا يدافعون عن اللغة العربية كالعلامة مصطفى صادق الرافعي وأن تحيي ذكراهم وأعمالهم بصورة مستمرة.

وعليها كذلك أن تحول بين طلبتها وبين الوقوع في دعاوى ومزاعم دعاة هدم اللغة العربية المطالبين باستبدال أحرفها باللاتينية أو التأثير بهم كرفائيل نخلة وشكري خوري ومارون غصن وسلامة موسى وغيرهم.....

والتنمية الثقافية في اللغة هي أن تتكون «ملكة لغوية عند الطلبة وغير الطلبة في الجامعة وخارجها». ولا سبيل لذلك إلا بإحداث تغييرات جوهرية سلوكية في حياتنا وأجهزة إعلامنا.

والمؤسف أن الطلبة في العالم العربي يعانون ضعفاً ظاهراً في اللغة العربية، فكيف تتكون لديهم ملكات شعرية، وملكات نثرية، وملكات تعبيرية، وملكات خطابية، وملكة كتابة القصة والمسرحية والتمثيلية بوجود هذا الضعف؟...

الحرب العراقية الإيرانية استمرت تسع سنوات. فأين شعراء هذه الحرب يصفون ويلاتها ودمارها وخرابها كما وصف زهير بن أبي سلمى الحرب الطاحنة بين عبس وذبيان وذكر ذلك في قصيدته المعروفة؟.

---

(34) لطفاً: أنظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين وكتاب الفصحى لغة القرآن، د. أنور الجندي، وكتاب أساليب الغزو الفكري، د. علي جريشة وشريف الزيبق.

المعاناة التي يعيشها المواطن في حياته اليومية في الجامعات وغير الجامعات في شتى أنحاء العالم العربي والإفريقي وفي الضفة الغربية وقطاع غزة حيث أوشكت الانتفاضة أن تنهي السنتين. أين دواوين الشعر عن هذه الأوضاع في شتى عواصم العالم العربي؟.

ولو استعرضنا أحوال المجتمعات العربية الأولى لرأينا أن الصغار والكبار، الرجال والنساء، كانوا يقرضون الشعر في منتدياتهم وجلساتهم. في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخلت امرأة على القاضي كعب بن سور تشكو زوجها قائلة:

يا أيها القاضي الحكيم رشده ... أَلْهَى خليلي عن فراشي سجده
زهده في مضجعي تعبُّده ... نهارُه وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء أحمده ... فاقض القضايا كعب لا تردده

فقال الزوج:

إني أمرؤ أذهلني ما قد نزل ... في سورة النور في السبع الطول
زهدني في فرشها وفي الحجل ... وفي كتاب الله تخويف جلل
فحثها في ذا على حسن العمل

فقال القاضي:

إن أحق القاضيين من عقل ... ثم قضى بالحق جهداً وفصل
إن لها حقاً عليك يا بعل ... نصيبها من أربع لمن عدل
فاعطها ذاك ودع عنك العلل[35].

وقصص كثيرة متشـ ـة تدل على وجود «ملكة لغوية» عندهم.

قضية الشعر العمود ، والشعر الحر على أساتذة الجامعات المتخصصين باللغة العربية والمهتمين بها أن يحسموا الصراع حولها لصالح القصيدة الأصيلة، ذلك لأن الشعر العربي أصبح حاله مشابهاً لحال الشعر الغربي حيث أنه فقد عنصر

(35) أخبار القضاة، ج 1 ص 277.

المعاناة الحقة في صناعة الجمال وفي تكاليف العمل الفني الجميل وهجر الشعراء عشرات الأوزان الكاملة والمجزوءة وقنعوا بالنظم على أربعة بحور أو خمسة، فأين ذهبت البقية؟ وأين موسيقى الشعر وأين هندسته؟

على المهتمين تدارك الأمر، فالأمر جلل.

لو فتحت صفحة أدبية في صحيفة أو مجلة، لما فهمت شيئاً مما يسمى بالشعر الحر. لا ترى سوى طلاسم وألغازاً. أين حركات ومدارس النقد؟.

إن على الجامعات أن تبين كيف ضاع الثوب الأصيل للشعر العربي وما هي الوسائل لإعادة مجد شعرنا ولغتنا وقواعدنا وجميع فروع آدابنا والوسائل العديدة، فكما ذكرت في النقطة الماضية بضرورة إحياء مقومات الثقافة عن طريق المواسم الثقافية، وبأنْ تعمد بعض الجامعات إلى إقامة مواسمها الثقافية في نهاية العام أو بدايته. والمطلوب هو أن تكون مواسم دائمة موزعة على مدن عديدة وليس في جامعة العاصمة فحسب، وعلى الجامعات دعوة الشعراء والأدباء والرواة بصورة مستمرة أيضاً وإبداء الاهتمام بإنتاجهم حتى تتكون عندهم روح التجديد والعطاء.

3 ـ الخط العربي يمثل روعة الفن الإسلامي وبه يظهر جمال اللغة ودور الجامعات هو إحياء فنون هذا الخط وجماله وشخصيته، وإذا لم تتدارك الجامعات العربية والإفريقية هذا الخطر فإن مآل هذا الفن الاندثار.

المحاضرون والأساتذة في الجامعات والمدارس يشكون من واقع الخط العربي الذي كان في فترة من الفترات ما يقارب المائة نوع وهو الآن لا يزيد عن ثمانية أو ستة أنواع كالرقعة والنسخ والإجازة والفارسي والديواني.

المدارس لا تعلم الخطوط، والجامعات فيها مساق واحد في قسم اللغة العربية لا يغطي القدر المطلوب. أساتذة الخط أصبحوا ندرة في العالم العربي وإفريقيا. الضفة الغربية المحتلة على سبيل المثال، ليس فيها سوى خبير واحد تعتمده الآن المحاكم الشرعية والنظامية، عمر هذا الخبير جاوز التسعين... في فترة إغلاق الجامعة أخذت أتردد عليه لأستفيد من علومه وخبراته.

إنني أرى أن إهمال هذا الفن العظيم من قبل الجامعات هو إخلال بالثقافة

وعلى إدارة الجامعات استقدام الخبراء والمختصين وفتح دورات في الجامعة للراغبين سواء من طلبة الجامعة أم من خارجها وتقديم الحوافز والجوائز وتنظيم المسابقات الدولية لهذا الفن.

أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة تساهم في تدهور الخط العربي لأن برامج الأطفال مثلاً ليس فيها أي ذكر للخطوط، علماً بأن أحد برامج الأطفال شاهد الأطفال فيها غرفة دراسية وطلبت المعلمة من جميع الأطفال تقليد أصوات الحيوانات. وقام أحد الأطفال بتقليد صوت الحمار. . . .

والجامعات قادرة على إحياء هذا الفن كثقافة عامة لدى الجمهور بإقامة المعارض لهذا الفن وتشجيع الجمهور من التجار وأصحاب المحلات على كتابة لافتات محلاتهم بطريقة جمالية عن طريق أهل الخبرة وعدم كتابة أي لافتة بلغة أجنبية، ولا غرابة في ذلك، فحكومة بلجيكا تمنع كتابة أي لوحة بغير لغتها.

ويقول د. مصطفى بركات «إن ثقافة النساء البيتية ينقصها اتقان هذا الفن كما كانت النساء الأوائل ـ كأمهات السلاطين مثل درة هانم أم السلطان محمود، وثناء الكاتبة ـ حتى يستطعن نقل هذا الفن لأبنهائهنّ»[36].

ويرى بعض العلماء أن مجامع اللغة العربية عليها أن تعمل هي الأخرى لوقف هذا التدهور.

4 ـ مجامع اللغة العربية في العالم العربي لا يتم تنشيط أعمالها إلا عن طريق أساتذة الجامعات وأدبائها. ومجامع اللغة العربية تقوم بدعم الطاقات اللغوية اللازمة للتنمية الثقافية، وعلى إدارة الجامعات التأكيد على التعاون الثقافي بين الجامعات والمجامع ومتابعة ذلك.

5 ـ على الجامعات العربية والإفريقية تنظيم الندوات الشعرية والفكرية والأدبية والإعلان عن مسابقات لذلك تقدم فيها الجوائز لإحياء الملكات اللغوية. وأعتقد أن أكثر الجامعات تقوم بذلك، إلا أن الأمر يحتاج إلى تشجيع وعناية أكثر.

---

(36) جريدة القدس، 1989/9/26 بتصرف.

6 ـ أن تعمل الجامعات العربية والإفريقية على وضع البرامج لتعريب التعليم الجامعي لديها مع مراعاة جانب اللغات الأجنبية كالإنكليزية والفرنسية.

وقد دعا مجلس وزراء الصحة العرب في اجتماعه بالخرطوم 1987 وكذلك اتحاد الأطباء العرب في القاهرة سنة 1988 م ونقابة الأطباء المصرية إلى ضرورة تعريب الطب الجامعي[37].

7 ـ حتى يتمكن الطلبة من رفع مستوياتهم في اللغة العربية وحيث أن هؤلاء الطلبة عليهم اجتياز مواد الثقافة المقررة عليهم أقترح أن يقوم مدرس الثقافة بقراءة بعض فصول ما جاء في المؤلفات التالية: ـ

(أ) أدب الكاتب لابن قتيبة.

(ب) كتاب الكامل للمبرد.

(جـ) كتاب البيان والتبيين للجاحظ.

(د) كتاب النوادر لأبي علي القالي.

لطلبته ومناقشتهم بها حيث أن ابن خلدون العلامة الكبير يعتبر أن أصول الآداب الشعرية والنثرية وأساليب العرب ومناحيهم اللغوية متوفرة في هذه الكتب.

وقد يتخرج المهندس والطبيب والحقوقي والفني وهو لا يكاد يسمع بهذه الأسماء.

8 ـ أقسام الترجمة واللغات في الجامعة تتولى مهمة نقل الثقافة والمعرفة بين العالم العربي وإفريقيا من جهة ودول العالم المتحضر من جهة أخرى وعليها أن تنقل ما يُقوِّي تمسكنا بثقافتنا ويزيد ارتباطنا بها، لا أن نترجم كل ما هب ودب. إن ترجمة مؤلفاتهم وعلومهم في مجالات الذرة والطب والهندسة والزراعة والثروات المعدنية وغيرها ينبغي أن تشكل حافزاً لعلماء العرب وإفريقيا أن يصلوا بها إلى أعلى درجات التقدم الحضاري.

---

(37) جريدة النور، ص 1409/1/20 هـ.

أما ترجمة آدابهم ونظرياتهم الاجتماعية والتربوية والأخلاقية فينبغي أن تكون ترجمة مقيدة بضوابط ثقافتنا، فلا يترجم إلا النافع الذي ثبت صلاحه للحياة الفكرية والاجتماعية.

وغير ذلك من الأدب والقصص والفنون الجنسية المبتذلة الرخيصة فعلى جامعاتنا أن تربي أبناءها على الترفع عنها لأنها ليست من ثقافتنا.

ثالثاً: التاريخ:

التاريخ ميدان شاسع مليء بالأحداث والمعطيات الثقافية والعلمية والتنمية الثقافية لا تفي بغرضها إذا لم تقم الجامعات العربية والإفريقية في فهم دورها في صياغة هذا المقوم المليء بالأخبار والذكريات والمعالم من حيث امتلاؤه بروائع الثقافة وعجائبها. العرب والأفارقة كانوا ذوي تاريخ عظيم مجيد يزخر بالأمجاد والقيم والمعاني، وذلك ما يشكل رصيداً ضخماً من المعلومات والمعارف التي تنمو به الثقافة. ودور الجامعات في تنمية هذا المقوم يتم كما يلي: -

1 - ربط الحاضر بالماضي والمستقبل ولا ينجح بالقيام به سوى الجامعات لأن الفائدة النظرية لتعميم الثقافة التاريخية الإسلامية مرتبطة بالممارسة العملية واستلهام النظريات وأخذ العبرة من تاريخها وتاريخ الأمم السابقة.

2 - الجامعات تصنع تاريخاً وتصحح المفاهيم الخاطئة التي نشأت عن ممارسات تاريخية غير صحيحة من خلال تنميتها التاريخية الثقافية.

3 - التنمية الثقافية المرجوة من هذا المقوم هي إحياء ثقافة عامة بكيفية انحسار الحضارة وتقدمها، وكيف تعيش الدول وتنهار، وكيف تصحو الشعوب من غفوتها؟.

ذلك أن سنن الله تعالى لا تتبدل ولا تتغير في البشر جميعاً. والمراد هو فهم المغزى الأخلاقي للتاريخ واتجاهات الأحداث فيه ومسارها الناطق المعبر بلسان الحال. وعلى العاملين في أقسام التاريخ الاهتمام بربط الحوادث والوقائع خصوصاً في تاريخنا العربي والإفريقي بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية وينبغي كشف

الدعوات العنصرية والفئوية التي ظهرت عبر التاريخ.

وكل تفسير جنسي أو وجودي أو عنصري أو مادي للتاريخ غير مقبول لأنه يؤدي إلى تعطيل عجلة التنمية الثقافية في بلادنا.

4 ـ على القائمين بالتنمية الثقافية رسم خطوط عامة لطلبتهم والفئات المثقفة في مجتمعاتهم عند دراسة التاريخ حتى لا يقعوا في حبائل المستشرقين الذين اعتمدوا الروايات المكذوبة غير الثقة ولم يرجعوا فيما رووا عنهم إلى أئمة الجرح والتعديل من العلماء لمعرفة صدق الرواية.

ولقد اعتمد المستشرقون وتلاميذهم على أحداث تافهة ضخموها في الوقت الذي تراهم يردون الأخبار الصادقة ويغفلونها والشواهد على ذلك كثيرة.

5 ـ حيث أن الجامعات العربية والإفريقية تقع في بلاد تعتبر مهد الحضارة الإنسانية فدور الجامعات في تنمية ثقافة طلبتها أولاً عن طريق تنظيم الرحلات محلياً لهم إلى المواقع الأثرية والحضارية، وتنظيم وتبادل الرحلات خارج حدود الجامعات أي بين الدول العربية والإفريقية واذكر هنا ما تقوم به جامعة النجاح الوطنية كبرى جامعات الضفة الغربية، حيث أن الجامعة تقدم الدعم المادي للرحلات العلمية بالمساهمة في نفقاتها ومصاريفها وأقسام الجامعة تشرف على رحلات الطلبة العلمية.

ومن هذه الأقسام قسم الدراسات الإسلامية وذلك لترسيخ التنمية الثقافية لطلبة مساق الثقافة الإسلامية حيث يقوم برحلات علمية إلى مواقع هامة في تاريخ الإسلام كمواقع معركة حطين وعين جالوت ومعركة اليرموك ومعركة أجنادين وهذه معارك فاصلة في تاريخ الإسلام.

وزيارة تلك المواقع تعطي الطالب انطباعاً وشعوراً بأنه جزء من تاريخ الإسلام وان عليه أن يجدد هذا التاريخ.

وزيارة الأقصى في القدس وقببها وآثاراتها القديمة ومسجد عمر تذكرهُ بفتح عمر رضي الله عنه وتسامحه الديني لأبنائها حيث أبى أن يصلي في كنيستها الكبرى

القيامة وتذكر الطالب بعلاقات الأخوة مع النصارى حينما يزور الطالب كنيسة المهد في بيت لحم. فيرى المكان الذي ولد فيه المسيح عليه السلام ويرى مدينة الخليل ويعتبر ما حل في قرى سدوم وقتم وعمرة حيث خسف الله بهم الأرض (البحر الميت) لشذوذهم الجنسي ويزور قصر هشام بن عبد الملك ويشاهد فنون العمارة الإسلامية وروعتها وهكذا. . . . ويزور مقر إحدى الأقليات العربية التي تعتنق الديانة الموسوية حيث تصف نفسها بذلك ـ وهي الطائفة السامرية بمدينة نابلس، ويشاهد كتابها المقدس الذي حافظت عليه منذ أكثر من ألفي عام، فيتذكر الطالب سماحة الإسلام بعدم إكراه أحد على اعتناق دينه.

6 ـ على أقسام التاريخ والآثار والجغرافيا أن تتولى مهمة كشف المعالم الحضارية في العالم العربي وإفريقيا، وأنني أدعو إلى تعاون الجامعات العربية والإفريقية بهذا الشأن، وأذكر أنه عندما كانت البلاد العربية وإفريقيا تحت نير الاستعمار كانت جامعات أوروبا ودوائره المختصة مهتمة بما في العالم العربي وإفريقيا من وثائق ومخطوطات وتحف وتم نقل كنوزنا الثقافية إلى متاحف أوروبا وخزائنها.

وأكبر مثال على ذلك اللفائف الفلسطينية التي اكتشفت 1947 م في منطقة البحر الميت بمنطقة خربة قمران حيث عثر عليها بعض الرعاة في جرار فخارية وقاموا ببيعها إلى أحد تجار الآثارات. ووصلت بعض اللفائف إلى مدير الجامعة العبرية الدكتور سونيك الذي نشط لجمع بقاياها. وعرف فيما بعد أن بعض اللفائف عرضت للبيع في نيويورك 1955 م وأن الذي قام بشرائها ييجال يادين رئيس الأركان الإسرائيلي بمبلغ ربع مليون دولار. واهتم بعض الأمريكيين العاملين في معهد دراسات الشرق الأوسط بتلك الوثائق فسارعوا إلى تصوير ما وقع تحت أيديهم وأرسلوه إلى الولايات المتحدة الأمريكية مما أثار الاهتمام بها. وهناك أعلن عالم الآثار (أولبرايت) أن هذه اللفائف من أعظم الاكتشافات في العصر الحديث. وقامت الحكومة الأردنية بعد الانتباه لهذا الموضوع بالبحث والتنقيب في نفس المنطقة فعثرت على أعداد هائلة من اللفائف الجلدية وتعرضت اللفائف إلى محاولات للاستيلاء عليها لإرسالها للجامعات الأوروبية وتمَّ ايداع اللفائف في

المتحف الفلسطيني في مطلع الستينات.

وفي يوم 6 حزيران سنة 1967 ثاني أيام الحرب اتجهت سيارة مدنية كانت تقل عدداً من الباحثين الإسرائيليين بحراسة قوات الجيش إلى المتحف الفلسطيني في القدس واستولت على جميع اللفائف الجلدية، وبذلك تكون إسرائيل عندها أكبر مجموعة تاريخية لهذه اللفائف.

وحتى يومنا هذا والمخطوطات مثار جدل ونزاع واسع بين علماء الغرب ففي 1989/8/23 عقد في جامعة جرونينجن شمال هولندا مؤتمر خاص بمخطوطات البحر الميت حضره علماء من عدة جامعات أجنبية تبادلوا الاتهامات بسبب التأخر في كشف فحواها[38].

وليس الأمر أمر المخطوطات المذكورة فحسب، بل أن مدن السوق الأوروبية تشهد عمليات بيع هامة للتحف والذخائر العربية الإسلامية، وأرى من واجب الجامعات العربية والإفريقية أن تخاطب حكوماتها لشراء هذه المخطوطات والتحف الفنية مهما بلغت أثمانها لأنها هي الشاهد الحقيقي على ثقافتهم وما بلغته من تطور وتقدم. وقبل أشهر أقيم في مدينة برلين الغربية (مهرجان آفاق 1989 م) وعرضت فيه مجموعات من مخطوطات وكتب العلماء والمؤلفين العرب باللغة العربية تتناول مختلف ميادين علوم الفلك والقواعد والنحو الطب والعلوم الطبيعية. هذه المخطوطات لكبار علماء المسلمين والعرب منذ ألف عام ونيف.

كما عرضت لوحات لفنانين أوروبيين توحي رسوماتها بتأثرهم بالفنون الإسلامية كالرسام الالماني (دورد) والفنان الإيطالي (بللين).

7 ـ أولت جامعة النجاح الوطنية منذ تأسيسها مسألة المخطوطات والوثائق أهمية خاصة فطلبت بوساطة الصحافة المحلية من الجمهور التعاون معها بشأن الحفاظ على أية مخطوطات أو وثيقة أثرية وذلك لايداعها لدى الجامعات لتقوم بحفظها.

وتأكيداً لدور الجامعات في المحافظة على التراث والكشف عن معالمه

(38) مجلة العربي، مايو 1986، وجريدة القدس، 1989/8/28.

الأثرية، قامت جامعة اليرموك بالأردن باكتشاف مدينة أثـرية شمـال الأردن تدل على وجود حضارة عظيمة لما تضمَّنتـهُ أرضياتها من أشكال ورسومات فسيفسائية متنوعـة ورسومات نباتية وحيوانية، ووُجِدَ فيها مخـازن للحبوب بـأشكال هنـدسية رائعـة[39] وأقسام التاريخ والجغرافيا بصورة خاصة والأقسـام التربـوية والاجتمـاعية والعلميـة وضمن مساق خدمة المجتمع الذي تدرسه الجامعات ترتّب على أساتذتها وطلبتها تثقيف الجمهور بأهمية مدنهم وما يلحقها من أسوار تاريخية وأزقة ومسـاجد ومـآذن ومنابـر وكنائس وأحياء وأسواق مسقوفـة وقلاع وخـرائب وأبراج وحمـامات قـديمة ومـرافق عامة.

وتوعية الجمهور تتم بطرق عديدة وبوسائل متنوعة للمحافـظة على ما لـديهم في بيوتهم من خطوط وكتابات حتى لا يقوموا بتدميرهـا لجهلهم بها كمـا فعل أمـام مسجـد جزائـري بمنبر مسجـده الأثـري بمـدينـة شـرشـال قبـل أسبـوعين. وعلى الجامعات أن تتعاون مع الدوائر المختصة لحماية الصناعات التقليدية والمنتشرة في العواصم العربية والإفريقيـة وتشجيع أصحـابها بـإقامـة المعارض لهم في سـاحات الجامعات.

والصناعات الوطنية مرتبطة بـالأزياء والتقـاليد والفنـون الشعبية وثقـافتنا تحتم علينا المحافظة عليها لأنها جزء من تاريخنا.

والعالم الغربي يبدي اهتماماً بثقافتنا وبكل ما يتصل بحياتنا العربية والإفريقية قـديماً وحـديثاً وليس أدل على ذلـك من قيام مجمـوعة دول أجنبيـة وبالتعـاون مـع اليونسكو برصد أكثر من مائة مليون دولار لإعادة بناء مكتبة الإسكندرية التي أحرقت قبـل ألفي عـام وسـوف تحـوي المكتبـة كـل مـا أنتجـه العقـل البشـري من شتى الحضارات واللغـات[40].

رابعاً: العلوم والمعارف والفنون:

المقـوم الرابـع من مقـومـات الثقـافـة المـراد تنميتهـا هي العلوم والمعـارف

---

(39) التلفزيون الأردني، 1989/9/15.

(40) جريدة القدس، 1989/9/26.

والفنون. ودور الجامعات العربية والإفريقية في تنمية هذا المقوم:

1 ـ قيام كليات وأقسام الجامعة العلمية بتثقيف مجتمعاتها ثقافة عامة تدرك من خلالها ما يجري حولها من ظواهر كونية وتغيرات جوية. وحيث أن الحديث اليوم يتركز على قضايا البيئة والتلوث والأمراض الجنسية. فدور الجامعات العربية والإفريقية هو بناء الإنسان العربي والإفريقي ليكون سلوكه متناسباً مع سلامة حياته وبيئته. الشعب الياباني مثلاً يستعمل في تناول طعامه سنوياً مليارات هائلة من الملاعق الخشبية ثم يقذف بها إلى صناديق القمامة. هذا السلوك يحتاج إلى ثقافة لتغييره ذلك أن الخشب يتم استيراده من البرازيل، والبرازيل تقوم بقطعهِ من غابات الأمازون ونتيجة لهذا القطع وعدم المحافظة على الغابات ظهرت فجوة كبيرة في طبقة الأوزون في الجو واتساع هذه الفجوة له أسباب متعلقة بالسلوك البشري والحاجات الصناعية.

2 ـ والجامعات مدعوة بإلحاح لتكون وعاء علمياً وفكرياً لأبناء مجتمعاتها والعلوم تسكب في النفوس بواعث التهذيب والتربية الحسنة وهي كذلك تغرس في العقول مذخوراً رائعاً من غذاء الفكر وحقائق اليقين[41].

ومقوم العلوم والمعارف والفنون مقوم هام في التنمية الثقافية حيث ينشأ الأفراد على نحو من الوعي المتبصر والعقلية المستنيرة، شرط أن تكون الفنون بعيدة عن السلوك المشين والظواهر الخليعة التي تسوق الناس إلى مباءة التفسخ والانهيار والتحلل ويشترط بها كذلك أن لا تساهم في تدمير القيم ومبادىء السلوك المهذب.

3 ـ دور الجامعات هو إحياء الفن الإسلامي الأصيل الذي لا تزال شواهده تبهر أنظار البشرية في الأندلس ومراكش والجزائر وبلاد الشام وآسيا الصغرى والصين والهند والعراق ومصر. ومتاحف الفن الإسلامي موجودة في أكثر عواصم الدنيا.

في بريطانيا المتحف البريطاني وفيكتوريا ومتحف برلنجتون وفتزوليم في

(41) الثقافة الإسلامية، د. أمير عبد العزيز ـ ص 206.

كمبردج وادنبره وبوديا في أكسفورد.

في الدنمارك في مدينة كوبنهاغن المتحف الأهلي ومتحف التاريخ.

في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندة وألمانيا والنمسا والمجر وتركيا والاتحاد السوفياتي وأمريكا مئات المتاحف التي تحوي التحف الإسلامية الجميلة[42].

4 ـ دور الجامعات هو إحياء فنون الزخرفة الإسلامية كالمنسوجات الأثرية والمصنوعات الفخارية والخزفية والتحف الزجاجية والمعدنية والتحف المصنوعة من الخشب والعاج والطنافس (الابسطة ذات الخمل) وفن الكتابة والتجليد.

ودور الجامعات هو التشجيع على إعادة عوامل النضوج للفن الإسلامي بالطرق التالية:

1 ـ تنظيم رحلات جامعية في موسم الحج وذلك أن الحج ساعد على انتشار الفنون الإسلامية نتيجة التقاء المسلمين من شتى أقطار الأرض بعضهم ببعض يختلطون ويتبادلون المعلومات ويتبايعون ويتجاذبون الأحاديث بشتى المواضيع ويعودون لبلادهم بتجارب وأفكار جديدة تساعدهم على التطور[43].

2 ـ تشجيع الناس وتثقيفهم للتبرع بما يملكون من ذخائر وتحف ومخطوطات على غرار (نظام الوقف في الإسلام) فأكثر معروضات المتحف الإسلامي بالقاهرة ودار الكتب أعيان موقوفة على المساجد وما إليها ولولا نظام الوقف لما وصلت إلينا. وتلك الوقفيات ساعدت كثيراً في تجديد الكثير من المواضيع في داخل المدن كما يوجد بها مفردات هائلة متعلقة بفن العمارة والصناعة[44].

3 ـ نظام مشيخة الصناعات: دور الجامعات في إعادة وجود هذا النظام لدى حكومات العالم العربي والإفريقي هو تثقيف الناس بأهميته ومخاطبة المسؤولين

---

(42) الفن الإسلامي، محمد عبد العزيز مرزوق ـ ص 111.

(43) المرجع السابق بتصرف، ص 167.

(44) المرجع السابق، ص 168.

عن طريق المقالات الصحفية والكتابات عن هذا النظام. وهذا النظام هو إعادة مشيخة الصناعات «ومسؤولية المشيخة في مراقبة البضائع ودقّتها وزخرفتها لمنع الغش والتدليس[45]» وقد يتصور المرء أن نظام النقابات الحالي يقوم مقام نظام مشيخة الصناعات إلا أنني أرى أن النقابات لم تعد تهتم بالصناعة كصناعة فنية بل إن النقابات الآن لم تؤسس لحماية الفنون والصناعة بل أسست لأهداف سياسية واجتماعية.

4 ـ ودور الجامعات في التنمية الثقافية أن تبين موقف ثقافتنا من الفنون الجديدة.

ودور الجامعات هو إعادة الثقة لأبناء الجيل العربي والإفريقي بالفنون الإسلامية وأثر الفن الإسلامي في الحضارة الغربية وفنونها.

5 ـ كما أن على كليات الهندسة وأقسام العمارة فيها العودة إلى جذور العمارة الإسلامية لأن العمارة الإسلامية مرتبطة بثقافة وقيم الإسلام وفن العمارة الإسلامية يمنح النفس الإنسانية طمأنينة وسكينة تستقر في وجدانه.

كما أن فن العمارة نفسه يؤدي إلى تماسك اجتماعي لا سبيل إلى نكرانه.

6 ـ إن دور الجامعات أن تكون مناهجها نبراساً للطلبة. والمجتمع المثقف حتماً يميز الفنون الجميلة عن غيرها من الفنون الهابطة، التي تؤدي إلى تفسخ المجتمعات وتمزيقها كما تؤدي إلى إفساد الذوق الفني لعموم الناس: من ذلك ما يعرض في قاعات السينما وشاشات التلفزيون مما جعل وزير الثقافة المصرية عام 1982 يلغي جوائز الموسم بسبب هبوط مستواها الفني والقصصي ولأنها دخيلة على المجتمع المصري ولأنها تساعد على هدم القيم والثقافة[46] والأمر لم يتغير حتى الآن. بل ان كثيراً من النقاد اعتبروا أن ظاهرة الفن الرخيص في مصر وانتشاره عن طريق بعض المطربين الجدد حيث فاق كل التوقعات هذا الانتشار يعبر عن ظاهرة خطيرة جداً من أول مؤشراتها انحدار الذوق العام إلى درجة لا يستطيع الإنسان

(45) المرجع السابق، ص 170.

(46) جريدة القدس، 1983/11/27.

تفسيرها إلا بأمر واحد وهو انعدام الثقافة العامة بين فئة واسعة من الشباب والشابات. ورافق هذه الظاهرة بيع ملايين الأشرطة الغنائية.

يقول أحد النقاد: خطر هذه الظاهرة يكمن في إهمال «الكتاب الثقافي» من قبل هذه الفئات واتجاهها إلى هذا الفن الرخيص والتلف الذي أصاب الذوق العام[47].

7 ـ النقد الثقافي الذي تقوم به الجامعات عن طريق الصحافة ووسائل الإعلام يشكل حاجزاً بين الفن الأصيل والفن الهابط. وصوت الجامعة ينبغي أن يرتفع عالياً كلما اقترب خطر وأوشك أن يقع «والرائد لا يكذب أهله» والجامعة لها دور الريادة.

في المانيا الغربية طالب النائب البرلماني الاجتماعي هانس والون وقف مسلسل دالاس الذي يشاهده أكثر من مائة مليون في العالم والسبب هو أن هذا المسلسل التلفزيوني يهدد بفصم عرى الأسرة الالمانية لأنه يتضمن المكائد والخصومات والخداع والكذب والاحتيالات الكثيرة[48].

وقررت الحكومة السويدية حظر أفلام باتمان أو الرجل الوطواط لأن طابع العنف الأساسي في هذه الأفلام يمكن أن يتسبب بخلل نفسي لدى الأطفال الذين يشاهدونها.

8 ـ الجامعات العربية والإفريقية ولدورها الريادي في التنمية الثقافية عليها أن تحذر حكوماتها من نتائج الغزو الثقافي من قبل عشرين محطة أوروبية تلفزيونية بدأت بالبث المباشر والمحطات المذكورة تجذب الصغار والكبار الآن في الشمال الإفريقي وسينتقل البث لبقية أقطار العالم العربي وإفريقيا.

وذكر بعض المسؤولين أن الخوف من هذا البث يتمثل في هيمنة اللغة الفرنسية على مجتمعاتنا[49].

---

(47) النهار، 1989/4/8.

(48) القدس، 1983/2/14.

(49) القدس، 1989/8/18 م.

دور الجامعات العربية والإفريقية المباشر في التنمية الثقافية

خطت الجامعات العربية والإفريقية خطوات محسوسة لتحقيق تنمية ثقافية مشتركة، إلا أن هذه الخطوات بحاجة إلى تكثيف ومتابعة من حيث عددها واختصاصاتها وغاياتها والذي حصل:

1 ـ تم إنشاء معاهد الدراسات العربية والإفريقية في جامعة القاهرة سنة 1975 م. ومعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم سنة 1972. ومركز الدراسات الإفريقية بسبها في الجماهيرية العظمى.

كما قامت كل من جامعة بغداد والجزائر بإقامة معهد ومركز للدراسات الإفريقية وغاية المراكز المذكورة تشجيع البحوث والدراسات الإفريقية لتوثيقها في شتى المجالات الثقافية.

كما أن بعض الدول العربية والإفريقية تخطط لإقامة مراكز وأبحاث أخرى (السودان وكينيا وغرب إفريقيا)[50].

وأعتقد أن الجامعات العربية والإفريقية ينبغي أن تسعى لإنشاء معاهد عربية إفريقية مشتركة في كل منها وأقترح أن يتم تمويل إنشائها من قبل الدول العربية الغنية على أن تغطي المراكز والمعاهد جميع بلدان القارة الإفريقية والعربية.

2 ـ قام أحد المهتمين بالتنمية الثقافية بين الجامعات العربية والإفريقية، برصد الدراسات الإفريقية في الجامعات العربية وبعد صعوبات جمة نتيجة عدم توافر معلومات لازمة من قبل الجامعات، توصل إلى أن بضع أقسام التاريخ في الجامعات تدرس مساقاً أو اثنين عن تاريخ إفريقيا[51]. وقد يكون الأمر كذلك في الجامعات الإفريقية غير الناطقة باللغة العربية بالنسبة للثقافة الإسلامية. وأقترح أن يظهر في أقسام التاريخ أو الآداب أو الدراسات الإسلامية تخصص فرعي يتعلق

---

(50) العرب وإفريقيا، ندوات وأبحاث أحمد الفرعي، ص 296.

(51) د. يوسف فضل حسن، نبذة عن الدراسات العربية في الجامعات الإفريقية عن المرجع السابق، ص 297، وكان ذلك عام 1976 م.

«بإفريقيا: ثقافتها، تاريخها، لغاتها، فنونها، آدابها» والتركيز على التراث المشترك والجذور المشتركة للعرب والأفارقة، وأن تقوم الجامعات الإفريقية بفتح تخصصات فرعية للثقافة الإسلامية.

3 ـ التنمية الثقافية مرتبطة بالمزيد من التعاون الثقافي بين الجامعات العربية والإفريقية مثل تبادل الأساتذة والخبراء، وتقديم المنح العلمية والتدريبية وتشجيع الزيارات الودية بين رجال العلم والثقافة والفنون وتبادل المعلومات بنتائج البحوث الثقافية من كتب ومجلات ونشرات وبرامج وتسجيلات وأفلام مصورة وإحصاءات ووثائق وأجهزة ومخطوطات وتبادل البرامج والمناهج الدراسية والاعتراف بالشهادات والدرجات العلمية المتعادلة التي تمنحها المؤسسات التعليمية وتخصيص جانب من القرارات الدراسية والبرامج الإذاعية والتلفزيونية للتعريف بثقافة البلد الآخر الخاصة ومدى موافقتها للثقافة العامة، وتشجيع تعليم اللغات الإفريقية الشهيرة وترجمة كتبها[52] إذ لا مناص من وضع هذه الأمور موضع التنفيذ.

4 ـ تبادل قبول الطلبة في الجامعات العربية والإفريقية وأثره في التنمية: ـ منذ بداية الخمسينات وبعض الجامعات العربية كالأزهر والقرويين في المغرب وجامعة الجزائر والزيتونة في تونس وأم درمان وقطر والجامعة الإسلامية والإمام محمد بالسعودية وغيرها من الجامعات، تقدم آلاف المنح الدراسية للطلبة الأفارقة ووفد هؤلاء الطلاب من 29 دولة إفريقية جنوبي الصحراء واستحوذت نيجيريا، أرتريا، السنغال، سيراليون، تشاد، أثيوبيا، موريشيوس، على نسب كبيرة منها[53].

وبعد تخرجهم سيتوجهون إلى بلادهم للعمل فيها. ومما لا شك فيه أن دور هؤلاء الخريجين ستظهر آثاره في التنمية الثقافية إذا وجد المتابعة كإقامة نواد لهم في بلادهم تبقى على صلة بالجامعات التي تخرجوا منها، تزودهم بنشراتها وكتبها الثقافية. ومن الممكن دعوة المتفوقين منهم للمشاركة في ندوات ثقافية كلما دعت الحاجة لذلك.

---

(52) العرب وإفريقيا، ندوات وأبحاث ص 300.

(53) بلغ عدد الطلبة المقبولين في مصر حتى نهاية 1981 م (2415) طالباً والجزائر سنة 1976 (2300) طالب، وأم درمان والخرطوم في عام 1975 م قدمت (76) منحة. المرجع السابق، ص 298.

5 ـ الملاحظ أن الجامعات الأمريكية والسوفييتية والأوروبية والهندية، تبدي اهتماماً زائداً بالثقافة الإفريقية أكثر من اهتمام الجامعات العربية والإفريقية بعضها ببعض، وليس أدل على هذا من وجود عشرات المراكز والمعاهد المعنية في أكثر الجامعات الأوروبية والأمريكية والروسية ولا يخفى على أحد ما تقدمه تلك الجامعات من بعثات علمية لأبناء إفريقيا والعالم العربي للحصول على الشهادات العليا لاعتقادها أن حملة تلك الشهادات سيتأثرون بالثقافة الغربية ونمط حياتها. بل أن الجامعات العربية والإفريقية تبدي اهتماماً لإقامة علاقات ثقافية مع الجامعات الأمريكية والأوروبية والسوفييتية. ولربما أن عنصر اللغة هو الذي يقف حاجزاً. ولكي تتم التنمية الثقافية المشتركة، فإن الأمر يتطلب دعم مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من إخوتنا الأفارقة، وإعطاء اللغة العربية ثقلاً علمياً إلى جانب اللغات الأجنبية.

وحتى تؤدي الجامعات دورها في التنمية عليها أن تعمل على تبادل الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) فيما بينها، وأن تقوم كل جامعة بإنشاء فرع خاص في مكتباتها الكبيرة لهذا الغرض، ذلك أن الرسائل الجامعية هي نتاج فكري متجدد لا تتم التنمية الثقافية إلا به.

6 ـ من أجل تنمية ثقافية مشتركة عربية إفريقية، أقترح أن تتولى الجامعات إقامة (دائرة معارف عربية إفريقية مشتركة) يتم انتخاب أو تعيين أمناء عامين لها، وتساهم جميع الكليات والأقسام في إنشائها ويتم توزيع العمل بينهم أو تقسيم العمل وفق المناطق الجغرافية.

ـ يسبق إنشاء دائرة معارف إصدار مجلات مشتركة بين الجامعات العربية والإفريقية وأن تكون موضوعاتها في خدمة التنمية الثقافية.

ـ لضمان تبادل الأساتذة بين الجامعات فإن على الجامعات العربية والإفريقية إنشاء كراسي متخصصة متبادلة بين الجامعات.

ـ الرحلات العلمية للأساتذة والطلبة بين الجامعات العربية والإفريقية لها أثر كبير في التنمية الثقافية وعلى الجامعات دعم هذه الرحلات وتشجيعها.

ـ التعاون بين أجهزة الاعلام (مجلات، مذياع، تلفاز) والجامعات العربية والإفريقية من أجل تنمية ثقافية. وأذكر في هذا السياق أن التلفزيون الإسرائيلي في برامجه الاخبارية يعمد إلى استضافة أساتذة جامعات متخصصين في القضايا العربية والإفريقية وتوجيه الأسئلة لهم حول مواضيع تتعلق بهذه الدولة أو تلك، من تحولات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ويدلون بمعلومات هامة حول القضية المطروحة.

وأعتقد أن ما تقوم به المنظمة العربية للثقافة والفنون والعلوم في مجال التنمية الثقافية يساعد في تدعيم دور الجامعات العربية والإفريقية، فالمنظمة المذكورة أقامت المعهد الإفريقي العربي ووضعت الخطط لتعليم العربية كلغة ثانية في إفريقيا، وقامت بوضع فهرسة للمخطوطات الإفريقية المكتوبة بالأحرف العربية التي تتناول القضايا الثقافية والتاريخية، وانتهت من وضع كتاب لتعليم العربية لغير الناطقين بها، وتزويد المعامل اللغوية بكل الأجهزة المطلوبة، وبدأت التجربة في كينيا[54].

والآمال الآن معقودة على الجامعات العربية والجامعات الإفريقية لوضع مركبة التنمية الثقافية على طريقها الصحيح لتسير وفق خطط علمية مدروسة بعيدة عن الغوغائية والفوضى.

التحديات التي تواجه التنمية الثقافية:

التنمية الثقافية تؤدي دورها، لذا وضحت أهدافها وغاياتها وتوفرت كل الإمكانيات لنجاحها رغم التحديات والصعاب. والتحديات التي تواجه التنمية الثقافية تتمثل بما يلي: ـ

1 ـ هجرة الأدمغة العربية والإفريقية:

هجرة الأدمغة العربية والإفريقية إذا لم يتوقف نزيفها قد تعطل كل الخطط

(54) العرب وإفريقيا، ص 502.

للتنمية الثقافية والاقتصادية والعلمية، بل قد تؤدي إلى تقويض دعائم المجتمعات العربية والإفريقية.

«يستدل من المعلومات المتوافرة بأن أربعة وعشرين ألف طبيب وسبعة عشر ألف مهندس، وسبعماية وخمسين ألفاً من الفنيين تركوا البلاد العربية إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية أي ما يعادل 50 في المئة من الأطباء و 23 في المئة من المهندسين، و 15 في المئة من العلماء.

وفي عام 1980 وحدها قدر عدد الذين حصلوا على شهادة الدكتوراه بسبعةٍ وعشرين ألْفاً، هاجر نصفهم تقريباً.

وأسباب الهجرة لا تخفى على أحد، كانخفاض الأجور وعدم وجود حوافز مادية أو معنوية، وعدم وجود مراكز أبحاث أو جمعيات علمية.

وخسائر البلاد العربية والإفريقية من هجرة الأدمغة لا تقدر بثمن، ألمانيا الغربية وحدها قدرت أرباحها من جراء استقبال الأدمغة الجاهزة بين عامي 1957-1973 م بسبعةٍ وعشرين مليار مارك ألماني[55].

ومهما قامت الدول العربية والإفريقية بوضع ضوابط للهجرة إلا أنني أعتقد أن هجرة الأدمغة العربية والإفريقية إلى العالم الأوروبي والأمريكي لن يوقفها سوى تنمية ثقافية أصيلة في نفوس أبناء الجامعات المذكورة، أي أن يكون الباعث بترك الهجرة هو باعث نفسي بناء على ثقافة سليمة.

والخطورة من هجرة الأدمغة دخولها في الآلة العلمية والتقنية والثقافية للعالم المسمى بالعالم الحر إذ لا يستطيع بعدها المهاجر أن يفلت منها بسهولة.

وكما يخشى على الأدمغة العربية والإفريقية من الهجرة يخشى عليها أيضاً من الاغتيالات، حيث تم اغتيال مجموعة من العلماء والمفكرين والتكنولوجيين على يد عصابات إجرامية تحركها أياد خفية، من هؤلاء الدكتور إسماعيل الفاروقي الذي اغتيل في أمريكا سنة 1986 م، حيث كان يعمل رئيساً لقسم مقارنة الأديان في

---

(55) القدس، 1989/5/13.

جامعة تمبل بفيلادلفيا، وللمرحوم المذكور أبحاث ومؤلفات كثيرة في التنمية الثقافية.

كما تم اغتيال أحد كبار علماء الذرة وهو د. يحيى المشدّ وذلك سنة 1984 م وقبل أشهر عثر في الإسكندرية على جثة الدكتور سعيد بدير وهو من أشهر علماء الميكروويف والاتصالات. ان على الجامعات حماية كوادرها العلمية بشتى الوسائل.

2 ـ الانبهار بالثقافة الغربية:

بعد استقلال أكثر الدول العربية والإفريقية وانفتاحها على العالم الخارجي ظهرت كتابات ومؤلفات تدعو إلى صبغ المجتمعات العربية والإفريقية بالثقافات الأجنبية سواء أكانت:

(أ) الثقافة الأوروبية الغربية.

(ب) أو الثقافة الشيوعية الشرقية.

من ذلك ما ظهر عام سنة 1938 م في كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) لمؤلفه د. طه حسين حيث طلب صراحة اقتفاء اثر الثقافة الغربية والسير على هداها بكل ما فيها صحيحها وسقيمها.

وتلك الدعوات لم تخفت بعد بل ان كثيراً من المناهج الدراسية للجامعات العربية والإفريقية لم تتخلص من تلك الأفكار.

ولقد أفرزت ثقافة الغرب أفكاراً جديدة كالوجودية والفرويدية ظهرت آثارها في علوم الاجتماع والتربية وعلم النفس والتاريخ والاقتصاد ونظرياتها تدرس في معاهد وجامعات العالم العربي والإفريقي.

ودور الجامعات من خلال التنمية، التأثير على الرأي العام من خلال الثقافة العامة ليتمكن الجمهور المثقف من الحكم بنفسه على تلك الأفكار والمبادىء والنظريات الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين.

ولعل الاستشهاد بما يعانيه أصحاب تلك المبادىء من انهيار قيمهم

وأخلاقهم ومفاهيمهم الثقافية يدل على عدم صلاحيتها للحياة.

في قاعات السينما في أمريكا عرض فيلم (التجربة الأخيرة) عن حياة السيد المسيح عليه السلام يصور هذا النبي الكريم عليه السلام بأوضاع جنسية لا يرضاها خلق كريم..

ونبيُّ الإسلام محمد ﷺ تكتب عنه قصة كاذبة أشبه بقصص ألف ليلة وليلة والمثقفون الغربيون لا يعنيهم قذف الأنبياء بشيء.

في الاتحاد السوفييتي ظهرت سياسة الانفتاح (الجلاسنوست) لتبرهن على فشل مبادئهم ونظرياتهم الماركسية.

وبولندا تمردت علنا على مفاهيمها السابقة باستفتاء شعبي عارم قبل شهرين. وهرب مئات الألوف من المانيا الشرقية إلى المانيا الغربية يؤكد ذلك والأمثلة كثيرة لا تحصى. والمهم أن نعتبر بما يحدث حولنا في الأرض.

3 ـ التأثر بآراء المستشرقين والمبشرين:

اهتمت الدراسات الاستشراقية والتبشيرية بالثقافة العربية الإفريقية حيث عملت على نشر المخطوطات العربية ووضع الفهارس لها، وكتبت المؤلفات الكثيرة التي تتناول كافة الجوانب الثقافية في العالم العربي والإفريقي إضافة لدول العالم الإسلامي.

جانب من تلك المؤلفات صدر عن مستشرقين غير منصفين مثل جولدتسيهر وشاخت ومرجليوت وزوير وجرونباوم وفينيسك. تحمل في طياتها التشكيك بالثقافة الإسلامية وإنكارها وجود ثقافة إفريقية وذلك لاعتمادها على روايات مكذوبة.

وهذا لا يعني عدم وجود مستشرقين منصفين مثل جرينيه الفرنسي والشاعر الألماني جوتيه والوردهيدلي وتولستوي وكارلايل وغيرهم[56].

(56) الاستشراق والمستشرقون، دكتور مصطفى السباعي. وكتاب الاستشراق والاستعمار، عبد الرحمن =

ودور الجامعات هو الاستفادة من مؤلفات المستشرقين المنصفين. والرد على مزاعم الحاقدين منهم بطرق وأساليب علمية. وعلى أساتذة الجامعات العربية، والإفريقية الذين يزورون جامعات أوروبا زيارة أولئك المستشرقين ومناقشتهم علمياً بذلك أو الكتابة إليهم.

واقترح قيام اتحاد الجامعات العربية والإفريقية بدعوة بعض المستشرقين من حين لآخر للمشاركة في ندوات علمية للوقوف على آرائهم ومناقشتها فلعلهم يصححون مفاهيمهم عن الثقافة العربية والإفريقية.

كما اقترح قيام الجامعات العربية والإفريقية بتقديم المنح الدراسية للطلبة الأوروبيين على غرار ما تقدمه الجامعات الأوروبية والأمريكية للطلبة العرب والأفارقة وذلك حتى يطلع الطلبة الأجانب على الثقافة العربية والإفريقية على أرض الواقع.

وبالنسبة للتبشير فإن التنمية الثقافية وبوسائلها المتعددة والمتجددة تعطي المثقفين المناعة من التأثر بدعوات خارجة عن إطار ثقافتنا.

هذه هي أهم التحديات التي تواجه التنمية الثقافية.

وأعتقد أن التنمية الثقافية ينبغي أن تكون منفتحة على العلوم والفنون المتصفة بالشمول والتوازن والانضباط. والتي تحقق مطالب العقل والبدن والروح والنفس وتتجلى فيها الرصانة والعمق وذلك لبناء الإنسان الإيجابي هذا الإنسان الذي يتزود بالثقافة التاريخية، كما يتزوّد أيضاً بالثقافة الأدبية واللغوية، فالأدب بشعره ونثره وأمثاله وحِكمه يفتح النوافذ على الروائع والشوامخ الثقافية، وبالثقافة الإنسانية كعلم النفس والاجتماع والأخلاق والفلسفة، وبالثقافة العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة كعلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك والتي تنشر للمثقفين، وبالثقافة الواقعية. وهي الثقافة المستمدة من واقع الحياة المعاصرة، ويتوّجها بالثقافة الفنية[57]. وهي الثقافة التي تبرز النواحي الجمالية في الحياة دون الخروج عن حدود الأخلاق.

= جنكة، ص 84 وأساليب الغزو الفكري، د. علي جريشه وشريف الزيبق. وكتاب المستشرقون مالهم وعليهم، مالك بن نبي.

(57) ثقافة الإنسان، د. يوسف القرضاوي. وشروط النهضة لمالك بن نبي ص 75.

عندئذ يكون هذا الإنسان على مستوى التحدي ليستطيع بناء حضارة إنسانية مجيدة.

الخاتمة

من خلال قيام الجامعات بدورها في التنمية الثقافية ينبغي على القائمين بهذه التنمية أن لا تبهرهم ثقافة الغرب فيحسوا في أنفسهم عدم المقدرة على المتابعة لأن صرح الحضارة الغربية قد بلغ عنان السماء إلا أن هذا لا يمنع من القول ان ثقافة أوروبا مهددة بالخطر بل إن من العلماء الغربيين المعاصرين من يتنبأ بإعادة انبعاث جديد للحضارات الشرقية ويقصد بذلك حضارة الإسلام ويرى أن هذا الانبعاث سيؤدي إلى أفول المحور الثنائي الذي يتصرف بمقدرات العالم في الوقت الحاضر وهو محور موسكو ـ واشنطن. ومن هؤلاء العلماء بول كنيدي الذي أعد مؤلفاً بهذا الشأن (نشوء وسقوط الدول الكبرى) وصفته الدوائر الثقافية المختصة في الغرب بأنه من أهم الكتب التي صدرت في القرن العشرين ومن أكثرها رواجاً[58].

وهو يرى أن الأمراض التي فتكت بالامبراطوريات السابقة بدأت تنخر في جسد هاتين الدولتين.

ولا يخفى على أحد التقدم العلمي والتكنولوجي لحضارة الغرب المعاصرة إلا أن ثقافة أوروبا في خطر وثقافة أمريكا في خطر والإنسان الغربي عموماً في خطر، فأخبار صحفهم اليومية تنقل أخباراً وعناوين أصبحت وكأنها صفة لازمة لمجتمعاتهم عن أمراض الهربس وأمراض الإيدز الذي يوشك أن يفتك بمجتمعاتهم والإباحية والبغاء والزنا وإباحة اللواط وقضايا الإجهاض والمخدرات والحشيش والهيروين وعقار مخدر جديد يدعى الثلج، وظاهرة الانتحار الجماعي بين المراهقين في أمريكا والأسباب أمراض نفسية.

وجرائم العنف اليومية والاغتصاب رغم الحرية الجنسية إذ لا تستطيع المرأة

(58) المؤلف المذكور هو أستاذ التاريخ الاستراتيجي والتاريخ المعاصر في جامعة بال في أمريكا، جريدة القدس، 1989/9/3.

في لندن أو روما أو غيرها من عواصم أوروبا أن تسير وحدها بعد الغروب. وأكثر من ذلك عمليات بيع الأطفال إذ أعلن أوسبورن أيدي قاضي الأمم المتحدة ان أكثر من مليون طفل يباعون أو يدخلون كل سنة سوق الجنس والدعارة مستنداً إلى تقرير عرضته النروج في السنة الماضية على وزراء العدل في المجلس الأوروبي واعترف أن مجموعة العمل التي يرأسها والتابعة للجنة حقوق الإنسان ليس في وسعها أن تفعل الكثير[59].

عام 1985 كان عام قتل الأطفال في بريطانيا آباء وأمهات يقتلون أطفالهم وعدد المفقودين بلغ عشرات الألوف وجرائم قتل الأطفال تتم بطريقة لم يعهدها العالم. . وفي نفس العام ذكرت التقارير الصحفية ان المركز القومي الأمريكي يقدر بأن مليوناً ونصف مليون طفل يختطفون سنوياً وأكثر من مليونين آخرين نبذتهم أسرهم أو هربوا.

إن دور الجامعات العربية والإفريقية في التنمية الثقافية ينبغي أن لا يتوقف عند الإنسان العربي والإفريقي بل يتعداه إلى الإنسان العالمي ذلك أن الأرض واحدة والعالم واحد أيضاً، واذكر في هذا المجال أن اللجنة المشكلة عام 1983 من أجل البيئة والتنمية في الأمم المتحدة أصدرت كتاباً بعنوان: مستقبلنا المشترك «خرج بمفاهيم جديدة عن التنمية المستديمة وهي أن مشاكل البيئة والاقتصاد والعوامل الاجتماعية والسياسية وكل هذه الأمور تخضع للقيم والمفاهيم الثقافية.

واعتقد أن أكثر المشكلات التي تعاني منها الدول العربية والإفريقية من الممكن البدء بإيجاد سبل لحلها عن طريق الثقافة الواحدة.

الثقافة البنّاءة الهادفة:

إن مشكلة السنغال وموريتانيا وتشاد وليبيا والصحراء الغربية والمغرب والسودان وجنوبه والصومال والحبشة وزئير والمشكلات الداخلية في بعض الدول العربية والإفريقية كل هذه المسائل يمكن حلها عن طريق الثقافة والجامعات هي المؤهلة لخلق جيل يخرج من دائرة حب التسلط والأنانية وشهوة السلطة والتبعية

(59) جريدة القدس، 1987/4/15 م و 1989/6/11.

ويترفع عن سفاسف الأمور وسقطات الفكر والجسد وهذا الجيل هو القادر على تغيير دفة التاريخ .

وأنني أتوجه إلى أساتذة الجامعات في الدول العربية والإفريقية بأن يكثفوا نشاطاتهم وأعمالهم وأبحاثهم ذلك أن الخطر الثقافي يتهدد مجتمعاتهم وشعوبهم وليس أدل على ذلك مِنْ أن العالم الحر المعروف بالعالم الصناعي ينظر بلا مبالاة إلى العالم العربي وإفريقيا ولاْ مانع لديه أن تتحول بلادنا إلى مزابل للنفايات النووية السامة مستغلاً فقر أكثر هذه الدول ويكفي لتصوير هول الكارثة الإشارة إلى ما ذكره المهتمون بشؤون البيئة في الغرب نفسه مِنْ أن شركات أوروبية وأمريكية أبرمت عقوداً مع سبع عشرة دولة إفريقية لدفن النفايات السامة فيها وكانت صحيفة أمريكية قد نشرت في الصيف الماضي أن دولاً مثل الكونغو وغينيا بيساو وغينيا الاستوائية وبنين قبلت فيما بينها استقبال حوالي عشرة ملايين طن من النفايات الخطرة سنوياً ولا تستهوي إفريقيا منتجي النفايات لتوفيرها مواقع الدفن فقط بل لأنَّ كُلْفَةَ الدفن زهيدة جداً وتنبع الخطورة في تسرب النفايات والسموم على المحيط الأطلسي .

وكان العالم الفرنسي جاك أيف كوستو أول من حذّر من الكوارث الايكولوجية التي تهدد العالم العربي وإفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط وانني أتوجه لزملائي في كافة الجامعات العربية الإفريقية أن يدركوا الخطر المحدق بنا وعليهم تدارس هذا الأمر واقترح قيام المتخصصين منهم بالتشاور لإنشاء جمعيات لحماية البيئة على غرار الجمعيات الأوروبية حيث أن الأنظمة الجامعية تسمح بإنشاء جمعيات علمية .

والأمر معقود الآن على ثقافة العالم العربي وإفريقيا ليس لتنمية أقطارها بل لإزاحة كابوس الفناء الذي يتهدد البشرية جميعاً .

المراجع

1 ـ لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل بن منظور دار لسان العرب 1970 .

2 ـ دليل جامعة النجاح الوطنية 87/86 مراجعة د . إبراهيم الخواجه ـ مطبعة النصر ـ نابلس .

3 ـ مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي المطبعة الأميرية ط 6 .

4 ـ أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري ـ ط دار الشعب 1960 م.
5 ـ تاج العروس/ شرح القاموس: محمد مرتضى الزبيدي ـ ط حكومة الكويت ـ 1969 م.
6 ـ القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب ـ المطبعة الحسينية 1330 هـ.
7 ـ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون. دار الكتاب ـ ط 1.
8 ـ مشكلة الثقافة: مالك بن نبي: مكتبة الرسالة. دمشق.
9 ـ لمحات في الثقافة د. عمر الخطيب ـ الرياض.
10 ـ العرب وإفريقيا ـ مجموعة باحثين ط 1، 1984 بيروت.
11 ـ كيف تفكر إفريقيا د. أ. إبراهام تعريب خيري حماد. القاهرة. مطبعة الدار.
12 ـ موسوعة العقاد الكتاب العربي/ بيروت.
13 ـ إفريقيا الأرض والإنسان أ. ح عبد الفتاح ـ المكتبة الأنجلو مصرية 1965.
14 ـ الجغرافية السياسية الإفريقية. دكتور فيليب رفلة. مكتبة النهضة/ القاهرة 1966 م.
15 ـ إفريقيا في التاريخ المعاصر ـ دكتور رأفت الشيخ ـ دار الثقافة/ القاهرة 1982 م.
16 ـ الثقافة الإسلامية. د. أمير عبد العزيز/ مطبعة الخليل.
17 ـ من روائع حضارتنا. مطبعة الرسالة/ الرسالة دمشق.
18 ـ ثقافة المسلم. د. يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة/ سوريا 1978.
19 ـ أخبار القضاة/ محمد بن خلف/ عالم الكتب بيروت.
20 ـ القرآن والتوراة والإنجيل: موريس بوكـاي. دار المعارف/ القاهرة.
21 ـ محمد في الكتاب المقدس ـ بنجامين ديفيد قطر المحاكم الشرعية.
22 ـ إفريقيا الجديدة: جمال حمدان/ مكتبة النهضة. القاهرة 1983 م.
23 ـ الفن الإسلامي تاريخه. خصائصه محمد عبد العزيز مرزوق. مطبعة أسعد 1965 ـ بغداد.
24 ـ الفن الإسلامي في إسبانيا مانويل جوميت ـ ترجمة د. لطفي عبد البديع ومحمود سالم.
25 ـ دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ـ دكتور محمد وصفي محمد/ القاهرة دار الثقافة 1980.
26 ـ دليل الجامعة الأردنية مطابع الجمعية الملكية/ عمان 1936.
27 ـ أساليب الغزو الفكري ـ د. علي جريشه وشريف الزيبق/ القاهرة/ الاعتصام.
28 ـ شروط النهضة ـ مالك بن نبي مكتبة العروبة/ القاهرة.
29 ـ الاستشراق والمستشرقون د. مصطفى السباعي/ دمشق. المكتب الإسلامي.